محمد علي قطب

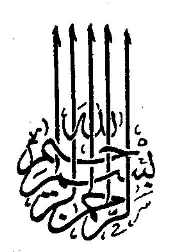

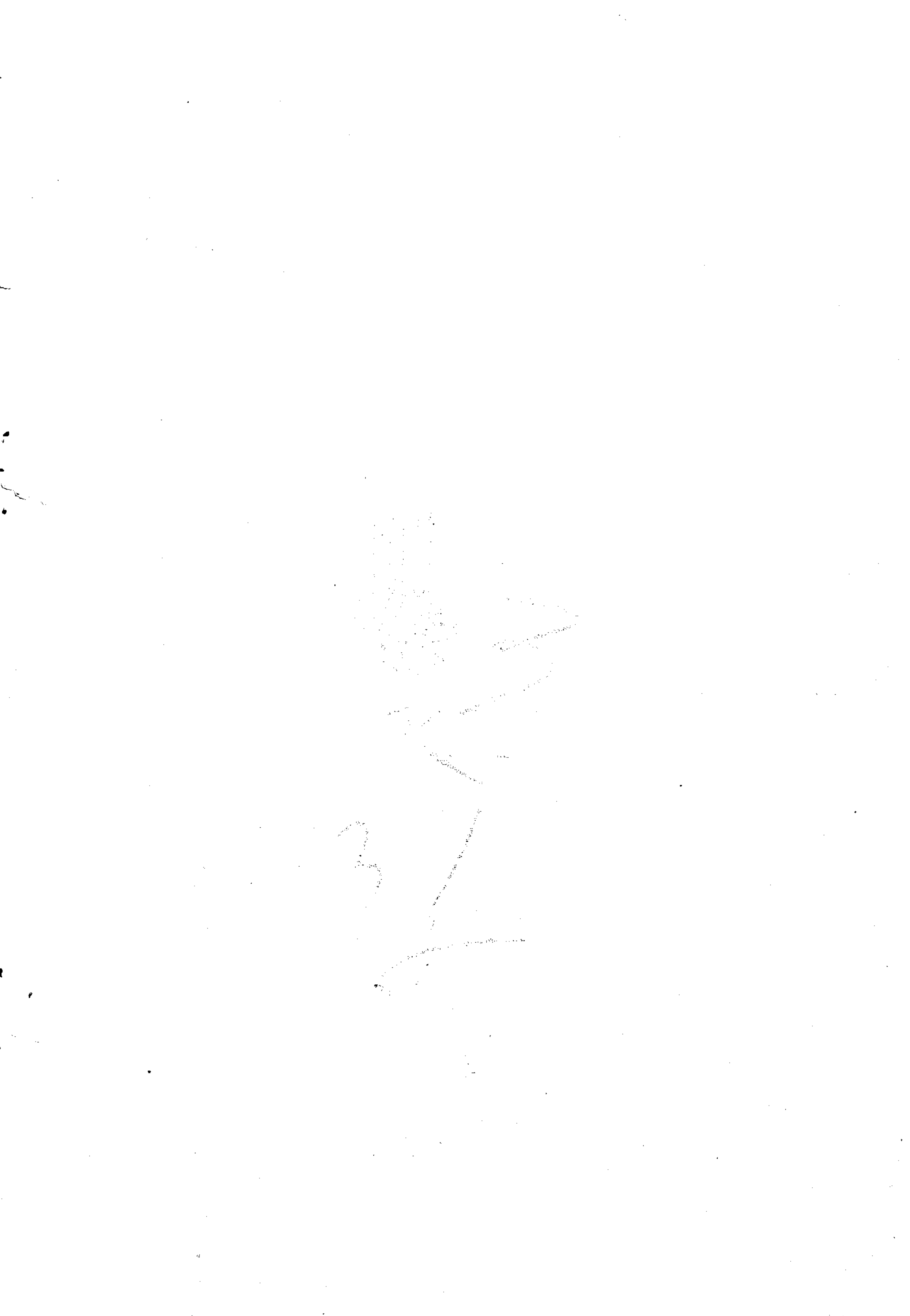

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ النبيُّ أَوْلى بالمُؤْمنين من أَنْفُسِهِم وأَزْواجُهُ أُمَّهَاتُهم وأُولُوا ٱلأَرْحام بَعْضُهُم أَوْلى بَبْعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلّا أَنْ تَفْعَلُوا إلى أَوْليائِكُم مَعْروفاً كان ذلك فى الكتاب مسْطورا ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ إِن الذِين جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُم لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لكُم لكُلِّ آمْرِىءٍ مِنهُم ما آكْتَسَبَ من الإثْم والّذى تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُم له عذابٌ عظيم ﴾[2] .

(١) سورة (الأحزاب) الآية (٦)

(٢) سورة (النور) الآية (١١)

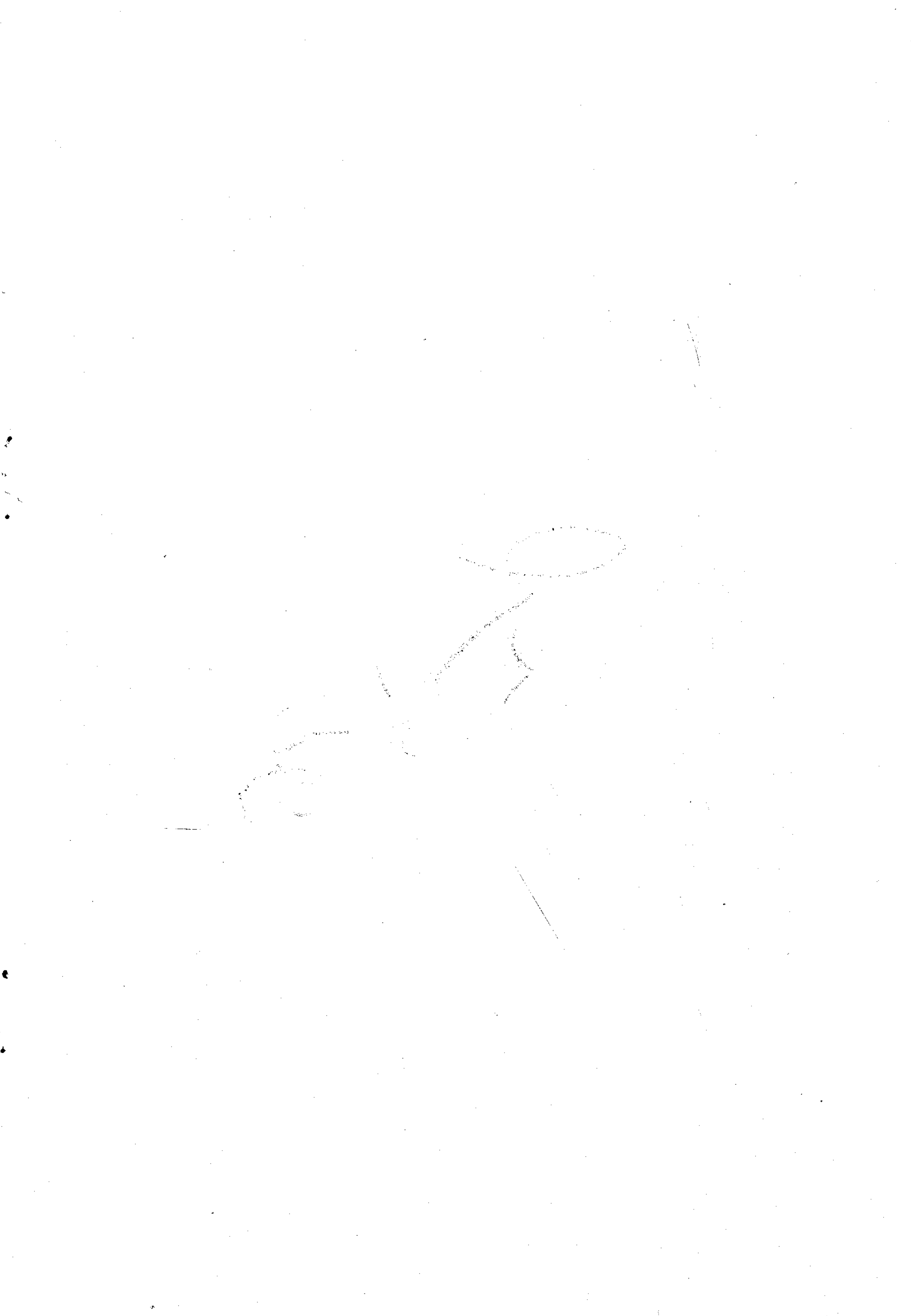

الْمُقَدِّمـــة

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونشكره ، ونتُوبُ إليه ونستغْفره ، ونعوذُ به من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهْتد ، ومنْ يُضْلل فَلَن تجد له ولياً مُرْشدا .

ونشهد أن لا إلهٰ إلا الله وَحْدَهُ لا شريك له ، له المُلْكُ ولهُ الحمْدُ يُحْيِي ويُميت وهُوَ على كل شيءٍ قدير .

ونشهد أن سيدنا ونبيَّنا «محمداً» عبد الله ورسُوله ، بلَّغ الرسالة وأدّى الأمانَةَ ونَصَحَ الأمة ، صلوات الله وسلامُهُ عليه وعلى آله وصَحْبه وسلّم .

وبَعْد ،

فإنّني أُحسُّ وأنا أُقدمُ على الحديث عن «عائشة» — رضى الله عنها . بأَنّنى أمام قُدْسٍ من الأقداس ، أو محرابٍ طاهر ، عليَّ قَبْلَ الولُوج إلَيْه أن أستَعدَّ آستعْداداً كبيراً ، نفسياً وذهنياً ، وأَتهيّأ تَهَيُّؤاً وجدانياً وَعَقْلياً ، وأنْ أَرْتَفعَ عَنْ دنَس الأرْض وجاذبيَّة الهوى والعاطفة ، وأَتخلّى عن كُل تَشَنج وعصبية ،

لماذا ؟؟

لأننى سَوف أَطْرُق بابَ بَيْتِ النُّبوَّة !!! ، وهو ليس بالأَمْر البسيط ، ولا العادىّ ..

فَمَنْ نحْن حتَّى نعايشَ إنْسانةً فى عواطِفِها وَعقلِها ورَأْيها ، كانتْ فى حقْبة من الزَّمن قرينَةَ نُبُوَّةٍ !؟؟

إننا لا نَقْتحمُ اَقْتحاماً ، ولا نَأْتي هاجمين .. ، بل نتلطّف ونتأدَّب ونتَّئد إلى أَقْصى مانَسْتطيع ..

نُخْفض الطَّرْف ، ونطأطىء الرأْس ، وَنَسْتَأْذن .. ، ونحاول — بَعْون الله تعالى — أَنْ نَسْتَقى من هذا الينبوع الزاخر بالْعلم والمعْرفة والفضْل غرْفةً ، وَأَنْ نَتّخذ من منهاجِهِ مَنْهجا ، ومن سبيله سبيلا ، ... ومن شعاعِهِ قَبَساً ...

والله تعالى وَحْدَه الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

والسلام على من اَتَّبَعَ الهُدى ،،،

المؤلّف

الفصل الأول

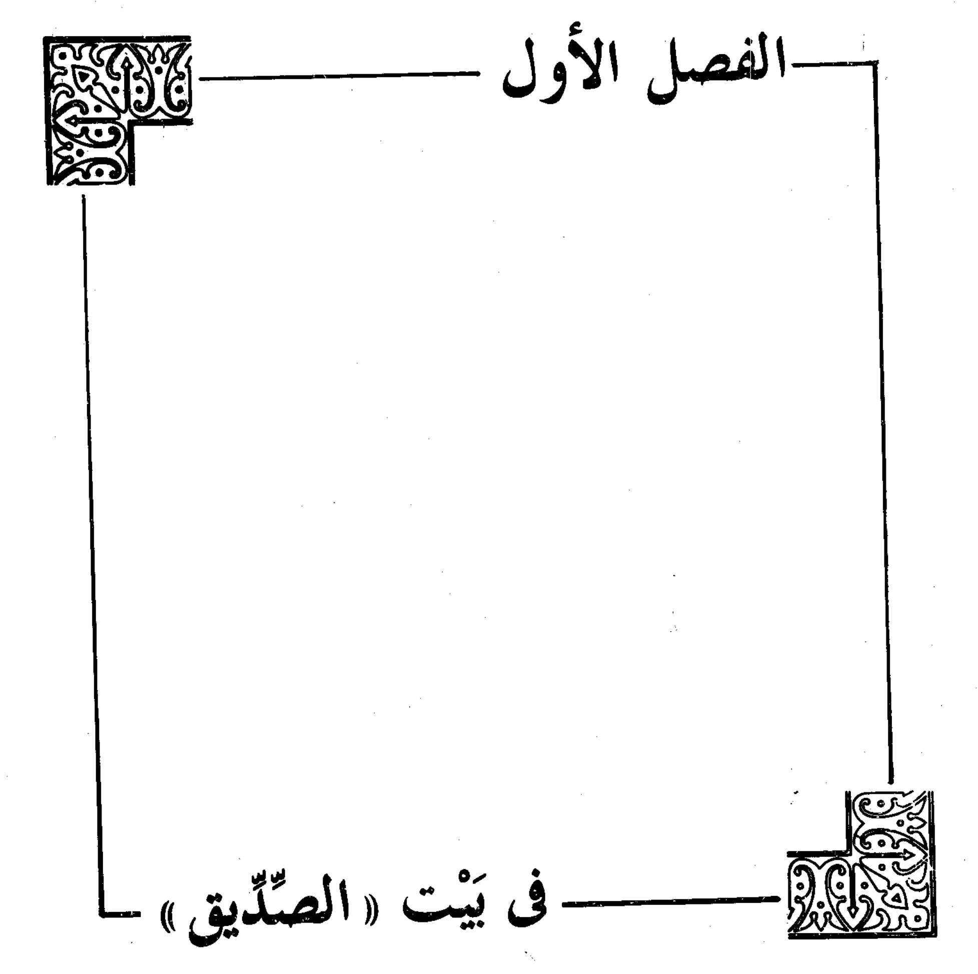

فى بَيْت «الصِّدِّيق»

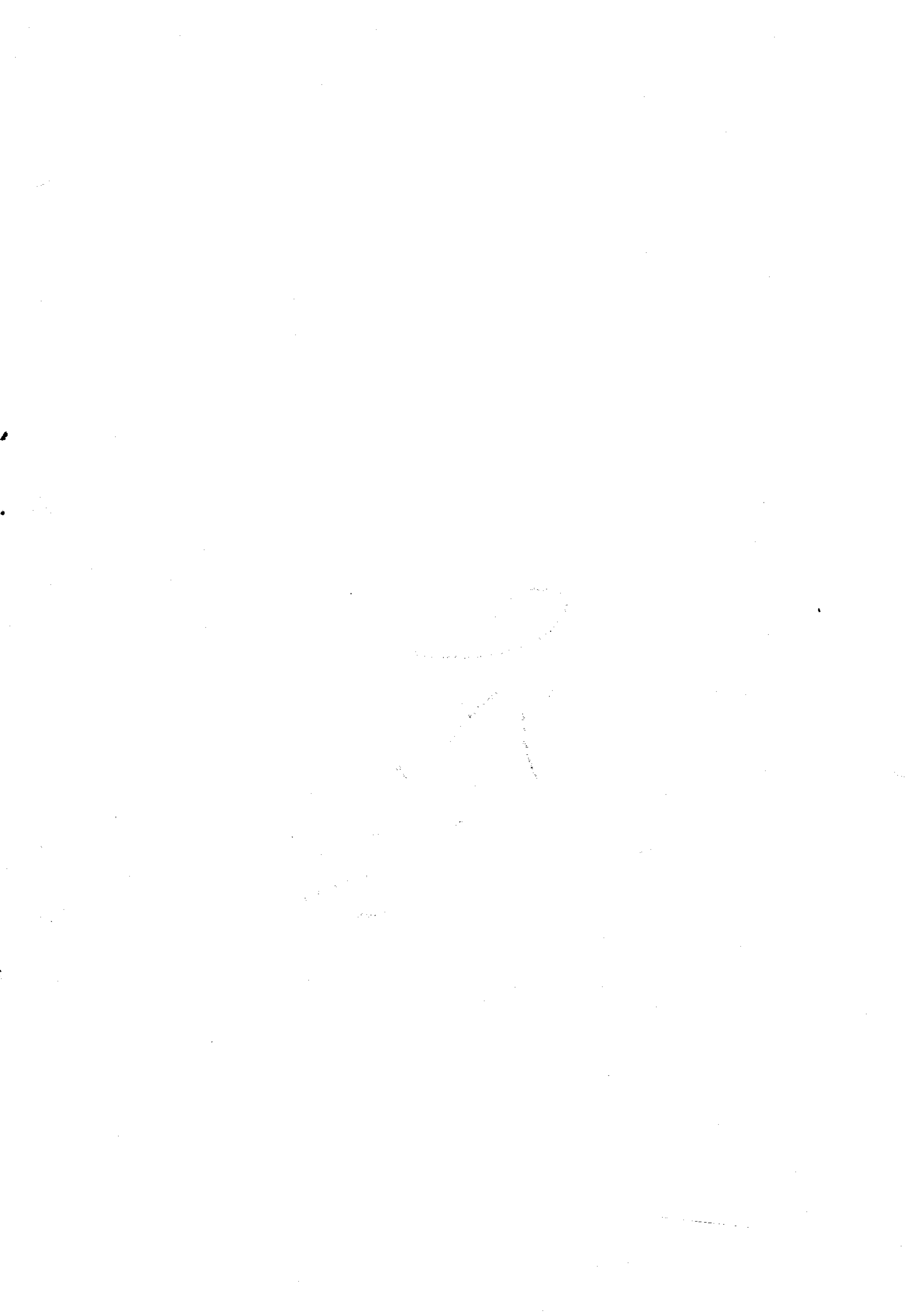

اسْمُها وَكُنْيَتُها

إن الاسْم الذى عرفت به السيِّدة «عائشة» ــ رضى الله عنها ــ مَأْخُوذٌ ومُشْتَقٌ من : [العيْش] .

وقد كان رسول الله «ﷺ» يُناديها أحياناً : **يا «عائشُ» ، على التَّرخيم** .

روى البخارى فى صحيحه عنها ؛ قالت :

[قال لى رسُول الله ﷺ : يا «عائش» هذا جبرِيل يُقْرِئك السّلام] .

وروى الترمذىّ : [أن رسول الله «ﷺ» خاطبها بقوْلِه : يا «مُوَفَّقَة» ، وكثيراً ماناداها ﷺعليه السلام» بِـ :

[يابنْتَ الصدِّيقِ ، يابنت أبى بكر] .

وحين لم تَلِدْ ، بعد أَنْ تَزوَّجت من رسُول الله «ﷺ» ، طَلَبَتْ مِنْهُ أن تكتنى ، فقال لها :

[«**اكْتنى بآبْنك «عبد الله»**] ـــ يعنى : ,عبد الله بن الزُّبَيْر» ـــ ابن أُخْتِها «أَسْماء بنت أبى بكْر» ، فكانت «عائشة» ـــ رضى الله عنها ـــ تُكنى بـ «أم عَبْد الله» .

وفى سنن النّسائى حديثان يدلان على أَن رسول الله «ﷺ» كان يناديها بيا «حُمَيْراء» والحمراء فى لُغَةِ أَهْل الحجاز هى البيْضاء الشقْراء ، وهذا نادِرٌ فيهم .

نَسَبُها

ـــ رضى الله عنها ـــ

هِي بِنْتُ «أبى بكْر الصِّدِّيق» ـــ رضى الله تعالى عنه ـــ ، وهو : «عبد الله ابن أبى قُحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مرة بن كعْب بن لُؤَي ـــ يلْتقي عنْد «مرَّة» برسُول الله «ﷺ» ـــ القرشيَّة التَّيمية المكيَّة ـــ أم المؤمنين .

وجمهور المؤرخين وعُلماءُ الأَنْساب أن ٱسْم والدها : «عبد الله» سمَّاهُ به النبيُّ «ﷺ» عندما أَسْلم ، وكان اسْمُهُ من قَبْل : «عَبْد الكعْبة» .

ولَقَبُهُ : عتيق .

وروى الترمذىّ عن «عائشة» رضى الله عنها ـــ :

[أَنْ أبا بكْر دَخَلَ على رسول الله «ﷺ» فقال :

[**أَنْتَ عتيقُ الله من النار**]

فيومئذٍ سُمِّي عتيقاً ، وكُنْيَتُهُ : أَبُو بكْر ، والْبَكْر لُغَةً : هو الفتيُّ من الإبل .

وصَحَّ أن النبىَّ «ﷺ» **كان يُناديه بكُنْيَتِهِ هذه** .

ودُعى فى الإِسْلام بـ «الصِّدِّيق» لَيْلَةَ أَسْرى بالنبىِّ «ﷺ» ، فقد أَصْبَحَ رسول الله «ﷺ» لَيْلَتَهُ تَلْك يَحدِّثُ النَاس بما كان من شَأْنِهِ وأُمرِهِ فى تلْك الليلة المباركة ؛ فٱرْتدَّ أُناس كانُو آمنوُا بِهِ ، وسعى رجالٌ من المشركين إلى «أبى بكْر» فقالوا : هَلْ لَكَ إلى صاحِبكَ ؟؟ يَزْعُم أَنَّهُ أُسْرىَ بِهِ اللَّيلة إلى بَيْت ـــ المقدس» ، قال : وقِد قال ذلك ؟ قالُوا : نَعَم ، قال : لئِنْ قال ذلك لقد صَدَقَ ... !! ، قالُوا : تُصَدِّقُهُ أَنَّه ذَهَبَ الليلة إلى بَيْت المقْدس وعاد قَبْل

أَنْ يُصْبِح ؟!! قال : نعم .. إنى لأُصَدِّقُهُ فيما هُو أَبْعَدُ من ذلك ، من خَبَر السَّماء فى غدوةٍ أَوْ روْحةٍ ... !!

ثم انتهى إلى النبىّ «صلى الله عليه وسلم» فأخذ يسْمع مِنْه ويصدِّقه ويقول : أَشْهَدُ أنك لرَسُول الله ...

وفى الصَّحيحيْن عن «أَنَس» — رضى الله عنه — :

[**أَنَّ النبىَّ «صلى الله عليه وسلم» صَعِدَ أُحداً ، فَتبَعَهُ «أبو بكْر» و «عُمَر» و «عُثْمان» ، فَرَجَفَ بهم ، فضَرَبَهُ النبىُّ «صلى الله عليه وسلم» برِجْلِهِ وقال : اثْبَتْ «أُحُد» فما عَلَيْك إلا نبىّ وصِدِّيق وشهيدان**] .

أُمُّهـا

[أُمُّ رُومان] ؛ واخْتُلف فى اسْمها ، فقيل : «زَيْنب» وقيل : «دَعْد» بنت عامر بن عُوَيْمر بن عَبْد شَمْس .

واختُلف فى نَسَبها من «عامر» إلى «كنانة» ؛ لكن اتفقُوا على أنها من بنى فراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة .

أسْلَمَتْ قديماً بـ « «مكة» ، كما يدل على ذلك كلام السيّدة «عائشة» [لَمْ أعْقِلْ أبَوىَّ إلّا وَهُما يَدينانِ الدِّين] .

ولقد توفِّيت «أم رومان» فى حياة النبىِّ «ﷺ» سنة سِتّ من الْهِجْرة .

وروى «ابن سَعْد» فى طبقاتِهِ أن النبيَّ «ﷺ» نَزَل فى قَبْرها واستغْفَر لها .

لكن «البخارى» يَقُول بأنها قد توفيَتْ فى خلافه «عثمان» — رضى الله عَنْه .

ويقول «ابن حَجَرٍ» فى «الإصابة» :

والذى ظَهَرَ لى بعد التأمُّل أن الصّواب مع «البخارى» .

إخوة السيدة «عائشة» — رضى الله عنها —

كان «أبو بكر» — رضى الله عنه — قد تزوّج فى الجاهلية «قَتْلَه بنت عبد العُزى» — القرشيّة العامرية — وقيل «قتيلة» ، واخْتُلف فى إسْلامها .

وولَدَتْ له : «عبد الله» و «أسْماء» .

ثم تَزَوَّج «أُمّ رومان» ، فولَدت له «عبد الرحمن» و «عائشة» ، وقد أسْلَمت «أم رومان» فى «مكة» قديماً .

وتزوَّج فى الإسلام من «أَسْماء بنْت عُمَيْس» فَوَلَدَت له «محمداً» . وتزوَّج أيْضاً «حبيبة بنت خارجة» فولَدتْ له بعد وفاته بِنْتاً سُمِّيَتْ «أم كلثوم» .

ولادتها وطفولتها ...

وُلِدَت السيِّدة «عائشة» – رضى الله عَنها – فى السنة الرابعة بَعْد البعثة النبويَّة الشريفة ، وهى أَصْغَرُ من السَّيِّدة «فاطمة» – رضى الله عنها – بثمانى سنين .

قال «الزرْكشى» :

– لم ينكح النبىُّ «ﷺ» امرأة أَبَواها مهاجران سواها .

فى سنوات طفولتها مرَّت الدَّعْوة الاسلاميّة بأقْسى وأَعْنَتِ مراحلها ، وتعرَّض المسلمون خلالها لأشَد أنْواع الأَذى والاضطهاد ، وقَدْ حَدَّثتنا السيِّدة «عائشة» عن بعض ما أصاب والدها «الصدِّيق» – رضى الله عنه – فى الأذى فى سبيل دينِه وإيمانِه .

حتى اضطر ذات يَوْم أن يخْرج من «مكة» مهاجراً نَحْو أَرْض الحبشة ، يريد أن يَلْحق باخوانه المسلمين هناك ، ولما بَلَغَ « بَرْك الغماد» لقيه «ابْن الدغنة» – وهو سَيِّد قبيلة القارة – ، فَأَرْجَعَهُ إلى «مكّة» وأجارَهُ من أذى «قريش» ... ، وكان فيما قاله لهُ :

– إن مثلك يا «أبا بكْر» لا يخْرُجُ ولا يُخْرَج .. ، إنك تُكْسِبُ المعْدوم ، وتَصِلُ الرَّحم ، وتَحْمِلُ الكَلّ ، وتُقْرِى الضَّيْف ، وتُعينُ على نوائب الحقّ ، فأنا لك جار .. ، فَارْجِعْ فاعْبُدْ ربَّك بَبلَدك[٣] .

ويحَدِّثنا المؤرخون أنّها – رضى الله عنها – كانَتْ فى طفولتها كثيرة اللّعب دائبة الحركة ، وقد بَلَغَتْ سن التاسعة – حين خطبها رسُول الله «ﷺ» ولها أتراب وَصَواحب تلْعَبُ مَعَهُنّ ، كما أنّ لها أُرْجوحةً تلْعَبُ عَلَيْها .

(٣) من حديث السيّدة « عائشة » فى صحيح البخارى .

وهذا مظهر من مظاهِر الحيويَّة ، ورؤْية للحياة مِنْ وَجْهها الأبْيض الناصِع ، وبراءَة الطفولة .

وقد حدَّثَتْ ــ رضى الله عنها ــ كيْف آنتقلتْ من فوْق الأرجُوحة إلى بَيْت الزوجية ، قالت :

ــ فأتتْنى «أم رومان» ــ أى أُمها ــ وأنا على أرْجُوحة ، ومعي صواحبي فصَرَخَتْ بى ، فأَتيْتُها ، وما أدْري ما تُريد بي ، فَأَخَذتْ بيدى فأوقفتنى على الباب ، فقلْتُ : هَهْ ، هَهْ .. ، حتى ذَهَبَ نَفسى ، فأدْخلَتْنى بيْتاً ، فإذا نسْوةٌ من الأنصار ، فقُلْنَ على الخيْر والْبَركة وعلى خير طائر] .

ونظراً لحداثة سنها عِنْدما تَزوَّجَتْ ، ظلَّتْ تلْعَبُ بَعْد زواجها لِفَتْرةٍ من الزَّمَن مع صواحبها ، وكان رسُول الله «ﷺ» يُقَدِّر ظروفها وحاجتها ، فكان يُسَرِّب لها صواحباتها يُلاعبْنها ، وتحَدِّثُ عن ذلك فتَقول :

ــ كُنْتُ أَلْعَبُ بالْبنات[٤] وأنا عِنْد رسُول الله «ﷺ» ، فكان يُسرِّب إلَيَّ صواحباتى يُلاعبْننى] .

كما مكّنها «عليه الصلاة والسلام» من رُؤْية السُّودان ــ الأحابيش ــ وهُم يلعَبُونَ بحرابهم فى المسْجد .

لذلك كانت ــ رضى الله عنها ــ تَنْصح الآباء والأُمهات ــ بعد ذلك ــ فتقول :

ــ [فاْقدروا قدْر الجارية الحديثة السِّنِّ تَسْمع اللَّهْو][٥] .

وتحَدِّثُنا ــ أيضاً عن تلك الفترة من حداثتها فى بَيْتِ النبُوَّة ــ فتقُول :

ــ [كُنْتُ أَلْعَبُ بالبنات ، فيجىء صواحبي فيَنْقَمِعْنَ من رسُول الله «ﷺ» ، فيخرج رسُول الله «ﷺ» فَيدْخُلْنَ عليَّ ، وكان يُسَرِّبُهُنَّ فَيَلْعبْن معى] وذكرَتْ أيْضاً :

---

(٤) أى العرائس الدُّمى .

(٥) رواه البخارى .

دَخَلَ عليَّ رسُول الله «ﷺ» وأنا أَلْعَبُ بالبنات ، فقال : ماهذا يا «عائشة» ؟ فَقُلْتُ : خَيْل سُلَيْمان» ولها أجنحَةٌ ، فَضَحِكَ][٦] .

على هذه الصورة ، وهذا النَّمط من البراءة كانَتْ طفولة السَّيِّدة «عائشة» ـــ رضى الله عنها ـــ ، وحتى فى أوائل أَيامها فى بَيْت النَّبُوَّة ، عنْدما دَخَلَتْ مرحلة الصِّبا .

(٦) سير (أعلام النبلاء) .

الخطبة المباركة

كانت أولى مراحل هذه الخطبة المباركة وَحْياً من الله تعالى ، ولقد أَخْبر عن هذا رسُول الله «ﷺ» حين قال لـ «عائشة» :

[أُريتُك فى المنام ثلاث ليال ، جاءنى بك الملَكُ فى سَرقةٍ من حرير ، فيقول : هذه امرأتُك ، فأكشفُ عن وَجْهِك فإذا أَنْت هى ، فأقول : إن يكُ هذا من عِنْد الله يُمْضِهِ](٧) .

وأَخْرج الترمذىُّ «عن السيدة عائشة» :

[أن جِبْريل جاء بصورتها فى خرْقَةِ حرير خضْراء إلى النبىِّ «ﷺ» فقال : ـــ هذه زوْجتُكَ فى الدنيا والآخرة](٨) .

فَبَعْد وفاة أم المؤمنين «خديجة» ـــ رضى الله عنها ـــ أَمْضى الله تعالى هذه الخطبة المباركة ، وقد توفيت السيدة «خديجة» قبل الهجرة بثلاث سنوات ، ولبث « ﷺ » سنتَيْن أو قريباً من ذلك ، وخَطب « عائشة » وهى بنْت تِسع سنين .

قالت «عائشة» ـــ رضى الله عنها ـــ :

ـــ [لما ماتَتْ «خديجة» جاءَتْ «خَوْلَةُ بنت حكيم» فقالت : يارسُول الله ، ألا تَتزوَّج ؟ قال : ومَنْ ؟ قالت : إن شئت بكْراً وإن شئت ثيِّباً ، قال : مَن البكْر ومن الثيِّب ؟ قالت : أمَا البكْر فـ «عائشة» ابنة أحبِّ خَلْق الله إليْك ، وأما الثيِّب فـ «سَوْدَةُ بِنتُ زمْعةَ» وقد آمنَتْ بك واتَّبعَتْك» قال : اذكريها علىَّ ..

(٧) متفق عليه .

(٨) رواه الترمذى .

قالت : (أَىْ خَوْلة) فأَتَيْتُ «أَمّ رُومان» فقلتُ : يا «أَمّ رومان» ماذا أَدْخل الله عليْكم فى الخيرْ والبركة ؟ قالت : ماذا ؟ قالت : رسُول الله «ﷺ» يَذْكُرُ «عائشة» ؛ قالت : انتظرى فإن «أبا بكر» آتٍ ، فجاء «أبو بكر» فذكرت له ذلك ، فقال : أَوَ تصْلُحُ له وهى آبْنَةُ أَخيه ؟

فقال رسُول الله «ﷺ» : (أنا أخوهُ وهُوَ أخى وآبنته تصْلح لى . فقَام «أبو بكر» ، فقالت لى «أمُّ رُومان» : إن «الْمُطْعم بن عديّ» كان قد ذكرها على ابْنه ، ووالله ما أُخْلِفُ وَعْداً قطّ ؛ قالت : فأتى «أبو بكر» «المطعمَ» قال : ما تَقُول فى أمْر هذه الجارية ؟ قال : فأقْبَلَ على امرأتِهِ فقال : ماتقولين ؟ فأقبَلَتْ على «أبى بكْر» فقالت : إن أنْكحْنا هذا الفتى إلَيْك تُدْخله فى دينك .. ، فأقبَلَ عليه «أبو بكْر» فقال : ماتَقولُ أَنْتَ ؟ قال : إنّها تَقولُ ما تَسْمَعُ ، فقام «أبو بكْر» وليس فى نفسه من المَوْعد شىء ، فقال لها : قُولى لرسُول الله «ﷺ» فلْيأْتِ ...)[٩] .

(٩) سير أعلام النبلاء .

هِجْرَتها

وصفت السّيدة «عائشة» ـــ رضى الله عنها ـــ طريق هجرتها فقالت :

ـــ [لمّا هاجَرَ رسُول الله «ﷺ» إلى المدينة خلّفَنا وخلّف بناتِهِ ، فلما قَدِم المدينة بعث إليْنا «زيْد بن حارثة» و «أَبا رافع» ، وأعطاهُما بعيريْن وخمسمائة دِرْهم أخذها من «أبى بكْر» يشتريان بها ما يَحْتاج إليْه من الظَّهْر ، وبعث «أبو بكْر» معهما «عبد الله بن أُريْقط» ـــ الليْثيّ ـــ ببعيريْن أو ثلاثة ، وكتب إلى ابْنِه «عبد الله» يأمره أن يَحْمِلَ أَهْله : «أم رومان» وأنا ، وأختى «أسْماء» ، فَخرجُوا ، فلمَا انْتَهوْا إلى «قُديد» اشْترى زيْد» بتلْك الدراهم ثلاثة أبعرةٍ ، ثُمَّ دَخلُوا «مكة» ... ، وصادفُوا «طلْحة» يريد الهجرة بآل «أبى بكْر» ، فخرجْنا جميعاً ، وخرَج «زيْد» و «أبو رافع» بـ «فاطمة» و«أم كلثوم» و«سوْدة» و«أمّ أيْمن» و«أُسامة» فاصطحبنا جميعاً ، حتى إذا كُنّا بـ «البيض» فقِدَ بعيرى ، وقُدّامي محفَّة فيها أمّى ، فجعلت أُمّي تقُول : وابنتاه .. واعروساه .. ، حتى أُدْرِكَ ، فقدِمْنا والمسْجد يُبْنَى] .

ويَبْدو أنَّ الخطر الذى تَعرّضتْ له السيِّدة «عائشة» فى طريق هجرتها كان كبيراً وشديداً ، وقد بيَّنتْ لنا ذلك فى حديث» آخر قالت فيه :

ـــ قدِمْنا مهاجرين ، فسلكْنا فى ثَنّيةِ «ضعينة» ، فنفر جَمَل كُنْتُ عليه نُفوراً منكراً ، فوالله ما أنْسى قوْل أُمّي : ياعُرَيْسة !!! ، فَرَكبَ بِى رأْسه ، فَسمِعْتُ قائلًا يقول : أَلْقى خِطامَه ، فألقيْته ، فقام يستدير ، كأنما إنسان قائم تحته][١٠] .

---

(١٠) الطبرانى وقال فى « مجمع الزوائد » : إسناده حسَن .

الفصل الثانى

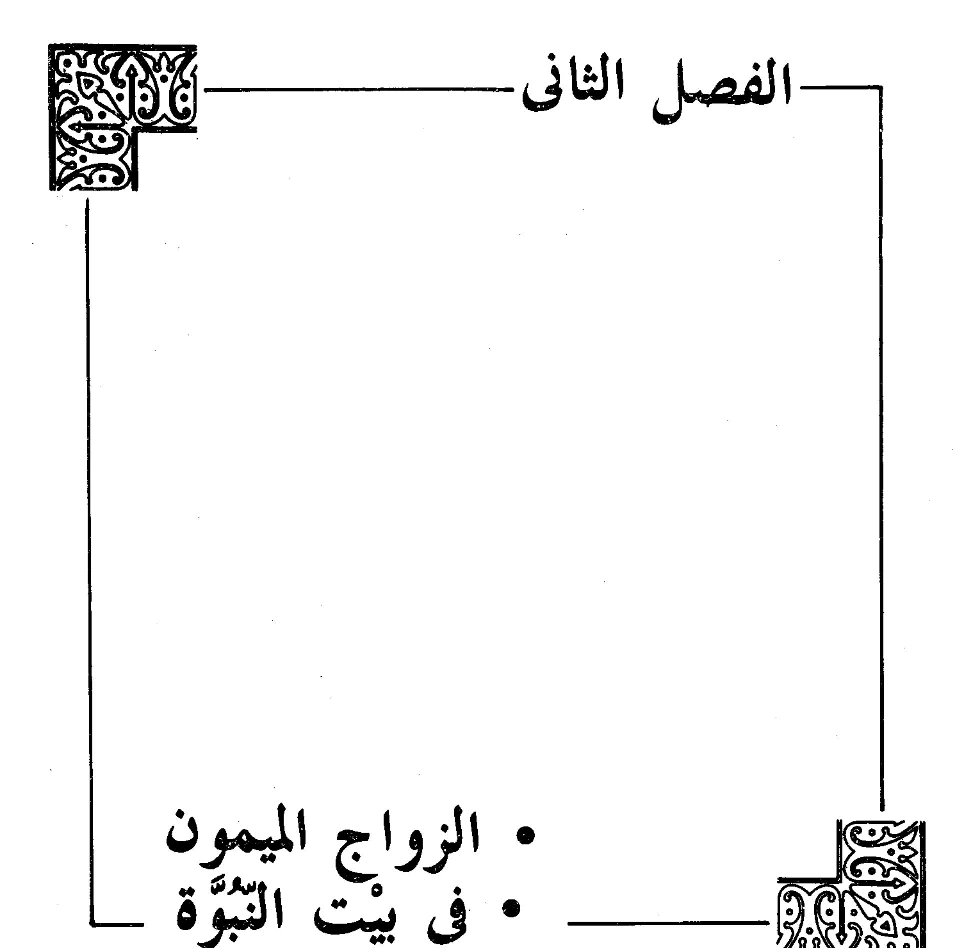

- الزواج الميمون
- فى بيْت النبوَّة

شهر «شوّال»

كان شهر «شوال» من أحبِّ الشهور إلى قلْب السِّيدة عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ لأنه شهر الذكريات العزيزة فى حياتها .

تقول ـــ رضى الله عنها ـــ :

[تزوجنى[١١] رسول الله «ﷺ» فى «شوّال» ، وبنى بى فى «شوّال» ، فأىّ نساء رسول الله «ﷺ» كانتْ أَحْظى عنده منى] .

وكانت ـــ رضى الله عنها ـــ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخل نساءَها فى «شوّال»[١٢] .

الاستعْداد

كانت «المدينة» أَرْضاً وَبئة ، تأثر المهاجرون بمناخها ـــ هذا ـــ لما سكنوا فيها ، وقد مَرض بَعْضهم ، لذا ... دعا النبى «ﷺ» فقال :

ـــ [اللهمَّ حَبِّبْ إلَيْنا «المدينة» كحُبِّنا «مكّة» أَوْ أَشَدّ ، وصَحِّحْها وبارك لنا فى صاعها ومُدِّها ، وانْقُل حُمّاها فاجْعَلْها بالجحْفة]

فطيبّ الله سبحانه بعد ذلك مناخها حتى أَصْبَحت أَطْيب بلاد الله ، وطهَّرها مما كان فيها ..

ولقد تأثّرت السيّدة «عائشة» بهذا المناخ ، فمرضَتْ شهْرا حتى ضعف جسدها وتساقط شَعْرها حق أَصْبَحَ جَمِيمُهُ[١٣] لايتجاوز أُذُنَيْهَا ، ولما شُفيت

(١١) تعْنى : خطبنى .

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) أى النابت منه ومعظمه

أَخذَتَ أمَّها تُهيِّؤها ليوْم الزفاف ، وتعالجها ليقوى جَسدها ويزول ضعفها حَدَّثتْ — رضى الله عنها — عن ذلك فقالت :

كانت أمّى تعالجُني للسِّمْنَة ، تُريد أنْ تُدْخلنى على رسول الله «ﷺ» فما آسْتقام لها ذلك حتى أكَلْتُ القثّاء بالرطب ، فَسَمِنْتُ كأَحْسَنِ سِمْنَة][١٤] .

يوم الزفاف ووليمة الْعُرْس

تُحَدِّث — رضى الله عنها — عن يَوْم عُرْسها ووليمتِه فتقول :

[لا والله ، ما نُحِرَت علىَّ من جزورٍ ، ولا ذُبحَتْ من شاة ، ولكنْ جَفْنَة كان يَبْعثُ بها «سَعْد بن عبادة» إلى رسول الله «ﷺ» ، يجعلها إذ ذاك بَيْن نسائه ، فقد علمت أنه بعث بها ، وقَدّم النبىُّ «ﷺ» إلى ضيوفِهِ اللَّبن مع الطعام] .

وقالت أسماء بن يزيد بن السَّكن الأنصارية» :

— **[كنّا فيمن جَهَّزَ «عائشة» وزفها** .

قالت :

فَعرض علينْا النبىُّ «ﷺ» لَبناً ، فقلنا : لا نُريدُهُ ، فقال النبى «ﷺ» لا تَجْمعْنَ جُوعاً وكذباً .

وزادت فى حديث آخر :

— إنى قَيَّنْتُ[١٥] عائشة «لرسول الله» «ﷺ» ، ثم جئتُهُ فَدعَوْتُهُ لجلوسها فجاء فجلس إلى جنْبها ، فأُتى بعُسٍّ لَبنٍ فَشرَب ، ثم نلولها النبى «ﷺ» فَخَفَّضَتْ رأسها واستحْيتْ .

قالت «**أسماء**» : فانْتهرْتُها ، وقُلْت لها : خُذى من يد النبى «ﷺ» .

(١٤) رواه ابن ماجه .

(١٥) زيَّنْتُ .

قالت : فأَخَذتْ فشَربَتْ شيْئاً ، ثم قال لها النبى «ﷺ» : أَعْطِي تِرْبَك] .

وقدَّم النبى «عليه الصلاة والسلام» لِـ «عائشة» مَهْراً مقداره خمسمائة دِرْهم ، صرَّحَتْ بذلك عندما سألها «أبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن» :

ــ [كم كان صَداق رسُول الله «ﷺ» ؟ قالت : كان صداقُهُ لأزواجِهِ آثنتىْ عشرة أُوقية وَنِشاً ، قالت : أتدْرِى ما النَّش ؟ قال : لا ، قالت : نِصْف أوقيّة ، فتِلْك خمسمائة دِرْهم ، فهذا صداق رسُول الله «ﷺ» لأزْواجِه[١٦]] .

ثم أسكنها «ﷺ» حُجرةً ملاصِقَةً لِمسْجِدِهِ الشريف ، لها مصراع واحد من «عَرْعرٍ» ــ أَوْ ساج .

وعُرفَت هذه الحجْرَةُ بـ «مَهْبط الْوَحْى» لِكَثْرة الوحى الذى نزل على النبىِّ «ﷺ» فيها .

(١٦) رواهُ مسلم .

فى بَيْت النبوّة

احْتَلَّت السيِّدة «عائشه» فى قلب النبىِّ «ﷺ» منزلة رفيعة من المحبّة لم يصل إليها غيْرها فى أُمّهات المؤمنين ؛ وَعَرَفَ الصحابة لها هذه المنزلة وأقرّوا بها .

جاء فى سنن «الترمذىّ» :

[أن رجُلًا نالَ من «عائشة» عندِ «عمّار بن ياسر» ، فقال له : آغْرُب مَقبُوحاً مَنْبُوحاً ، أتُؤْذِى حبيبة رسُول الله «ﷺ» !!؟؟] .

وقال «أنس بن مالك» :

ـــ [أوّلُ حُبّ كان فى الإسْلام حبُّ النبى «ﷺ» «لـ «عائشة» ـــ رضى الله عنها .] .

ولذلك كانوا ينتظرون يوْم «عائشة» ليُقدِّموا للنبىِّ «ﷺ» هداياهُم وهُوَ عنْدها ، حتى أثار ذلك غَيْرة أمّهاتِ المؤمنين .

قالت «عائشة» :

ـــ [كان الناس يتحرون بهداياهُم (يوْم «عائشة») ، فاَجْتَمَع صواحبى إلى «أمِّ سَلَمَة» ، فقُلْنَ : يا «أم سَلَمَة» ، والله إن الناس يتَحَرّون بهداياهم (يَوْم «عائشة») وإِنّا نريدُ الخَيْر كما تريد «عائشة» ، فمُرى رسُول الله «ﷺ» أَنْ يَأمرَ الناس أَن يهدوا إليْه حَيْثُما كان ، أو حَيْثُما دار ، قالت : فذكرت ذلك «أم سلمة» للنبى «ﷺ» ، قالت : فأَعرض عنّى ، فلّما عاد إلىَّ ذكَرْتُ لهُ ذاك فأَعْرَض عنّى ، فلمّا كان فى الثالثة ذكَرْتُ له ، فقال : يا «أمَّ سلمة» لا تُؤْذينى فى «عائشة» ، فإنّه والله مانَزَل علىَّ الوحْى وأنا فى لِحاف امرأةٍ مِنكُنَّ غَيْرها[١٧]] .

(١٧) البخارى

وكانت — رضى الله عنها — كثيراً ما تسْألهُ «عليْه السلام» على سبيل المداعبة والمباسطة :

— [كيْف حُبُّك لى ؟ فيقُول : كعُقْدة الحبْل . فكُنْتُ أقُول : كيْف العُقْدة يارسُول الله ؟ فيقُول : هى على حالها] .

وسألهُ «عمرو بن العاص» ذات يوْم :

— [منْ أحبُّ الناس إليْك ؟ قال : «عائشة» .. ، قال : ومن الرِّجال ؟ قال : أبوها[١٨]] .

وقد اعْترفتْ أُمّهات المؤمنين للسيِّدة «عائشة» بهذه المكانة العالية ، رغم مشاعِر الغيْرة التى تلازمُ عواطف النِّساء عادةً ، إذ قالت «أُمُّ سلمة» — رضى الله عنها — لما بلغها موْت «عائشة» .

— [والله لقد كانتْ أحبَّ الناس إلى رسُول الله «ﷺ» إلّا أباها[١٩]] .

ولمّا كبِرت أم المؤمنين « سوْدةُ بنْتُ زمْعة » — رضى الله عنها — جعلت يوْمها مِنْ رسُول الله « ﷺ » لِـ « عائشة »[٢٠]

وكانت أُمّهات المؤمنين يسْترْضينه — عليه الصلاة والسلام— إذا غضِب على واحِدةٍ مِنْهنّ بواسطة « عائشة » .

ولقد أخْرج « ابن ماجه » عنها :

— [أن رسُول الله « ﷺ » وجد على « صفِيَّة بنْت حُيَيٍّ بن أخْطب » فى شيْءٍ ، فقالت « صفيَّةُ » : يا« عائشة » هلْ لكِ أنْ تُرْضى رسُول الله ولك يوْمى ؟؟ قالت : نعمْ ، فأخذت خِمارًا لها مصْبُوغًا بزعْفران ، فرشَّتْهُ بالماء ليفُوح ريحُهُ ، ثُمَّ قعدتْ إلى جنْب رسُول الله « ﷺ » ، فقال النبىُّ « ﷺ » : — يا« عائشة » إليْكِ عنّى .. إنّه ليْس يوْمُكِ .. ، فقالت : ذلك فضْلُ الله يُؤْتيه من يشاء ، فأخبرتْهُ بالأمْر فرضِى عنْها]

(١٨) متفق عليه .

(١٩) سيَر أعلام النُبلاء .

(٢٠) فى الصحيحين .

كما عَرَف لها هذه المكانةَ من قلْب رسُول الله « ﷺ » كبارُ الْعُلَماء ، فكان « مَسْروق » إذا حدَّث عَنْها قال : (حَدَّثتنى الصِّدِّيقةُ بِنْتُ الصِّدِّيق ، حبيبةُ حبيب الله ، الْمُبَرَّأَةُ من السّماء) .

وبَلَغَتْ من قلْب رسُول الله « ﷺ » أسْمى مَنْزِلةٍ وأرْفَع مكانة وهاهُو « صلوات الله وسلامه عَلَيْه » يَسْتأْذِنُ أزْواجَهُ عندما مرض مَرَضَهُ الذى آختارهُ الله فيه إلى جوارِهِ ، أنْ يُمَرَّض فى بَيْتِ السيِّدة « عائشة » ، فأَذِنَّ له ،

وكانَتْ - رضى الله عنها - تَعْتَبِرُ كُلَّ ذلك مِنْ نِعَمِ الله تعالى عليها ، فتقُول :

- [**إنّ مِنْ نِعَم الله علىَّ أنّ رسُول الله « ﷺ » تُوُفِّى فى بَيْتى ، وبَيْن سحرى ونَحْرى**][21]

هذه المنزلة وهذه المكانة لم تأْتِ عَفْوًا ، فقد كان للسيِّدة خصائِص أَهَّلَتْها لما هى جديرة به ، وأَهَمُّ تَلْك الخصائص : أَدَبُها - رضى الله عنها - ، وذَوْقها ، وفصاحتها ، وبيانُها .

أُنظُر - مثلًا - إلى جوابها النَّفيس عندما قال لها النبىُّ « ﷺ »

- [**كُنْتُ لَكَ كأبى زرْعٍ لِأُمّ زَرْع ...** ،

فقالت :

- **يارسُول الله .. بَلْ أَنْتَ خيرٌ من « أبى زَرْع »**]

ورُوى عَنْها أنها قالت :

- [**قال لى رسُول الله « ﷺ » : إنّى لأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنّى راضية وإذا كُنْتِ علىَّ غضْبى**

قالت : فقُلْتُ : من أَيْن تَعْرِف ذلك ؟

قال :

- **أما إذا كُنْتِ عَنى راضية فإنّك تقولين : لا وَربِّ « محمد » . وإذا كُنْتِ غَضْبى قُلْتِ : لا وَربِّ إبْراهيم .**

(21) أى عِنْد صَدْرها - رضى الله عنها

قالت : قُلْتُ :

- أَجَلْ والله يارسُول الله ، ما أَهْجُرُ إِلّا اسْمَكَ]

وكانَتْ تحْرِص على أَنْ لا يرى منها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إلّا ما يَسُرُّ نَظَرَهُ وخاطِرَهُ ، ويُدْخِلُ السُّرور على قَلْبِهِ .

قالت :

- [دَخَلَ عليّ رسُولُ الله « صلى الله عليه وسلم » فرأى فى يَدى فتخاتٍ مِنْ وَرِق[٢٢] ، فقال :

- ما هذا يا« عائشة » ؟ فقُلْتُ : صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لك يارسُول الله ، قال : أتؤدّين زكاتهُنَّ ؟؟ قُلْتُ : لا ، أو - ماشاء الله - ؛ قال : هُوَ حَسْبُكِ من النّار][٢٣]

وكانَتْ تَنْصَحُ النساء أن يَتَزَيَّنَّ لِأَزْواجِهِنَّ ، فقالتْ لِإحداهُنَّ يَوْمًا :

- [إن كان لَكِ زَوْج فَٱسْتَطَعْتِ أن تَنْزعى مُقْلَتَيْكِ فَتضَعيهما أَحْسَنَ مِمّا هُما فَٱفعلى][٢٤]

وقد اشتهرت - رضي الله عنها - بحُبِّها للزّينة ، وذوْقها الرفيع فيها ، لذلك كان نساءُ « المدينة » يأْتينها يَسْتَعِرْنَ بَعْض ثيابها لِيُلْبِسْنها عرائِسَهُنَّ ليْلة زفافِهِنَّ .

يدُلُّ على ذلك أَنّه لما رفَضَتْ جاريتها أن تلبس ثَوْبًا من ثيابها قالت لها « عائشة » :

- [كان لِى مِنْهُنَّ درْعٌ على عَهْدِ رسُولِ الله « صلى الله عليه وسلم » ، فما كانت امرأةٌ تُقَيَّنُ[٢٥] بالمدينة إلّا أَرْسَلَتْ إلىّ تَسْتعيره][٢٦]

---

(٢٢) خواتم كبيرة من فِضّة .

(٢٣) رواه أبو داود .

(٢٤) النبلاء .

(٢٥) تزيّن ليلة زفافها .

(٢٦) رواه البخارى .

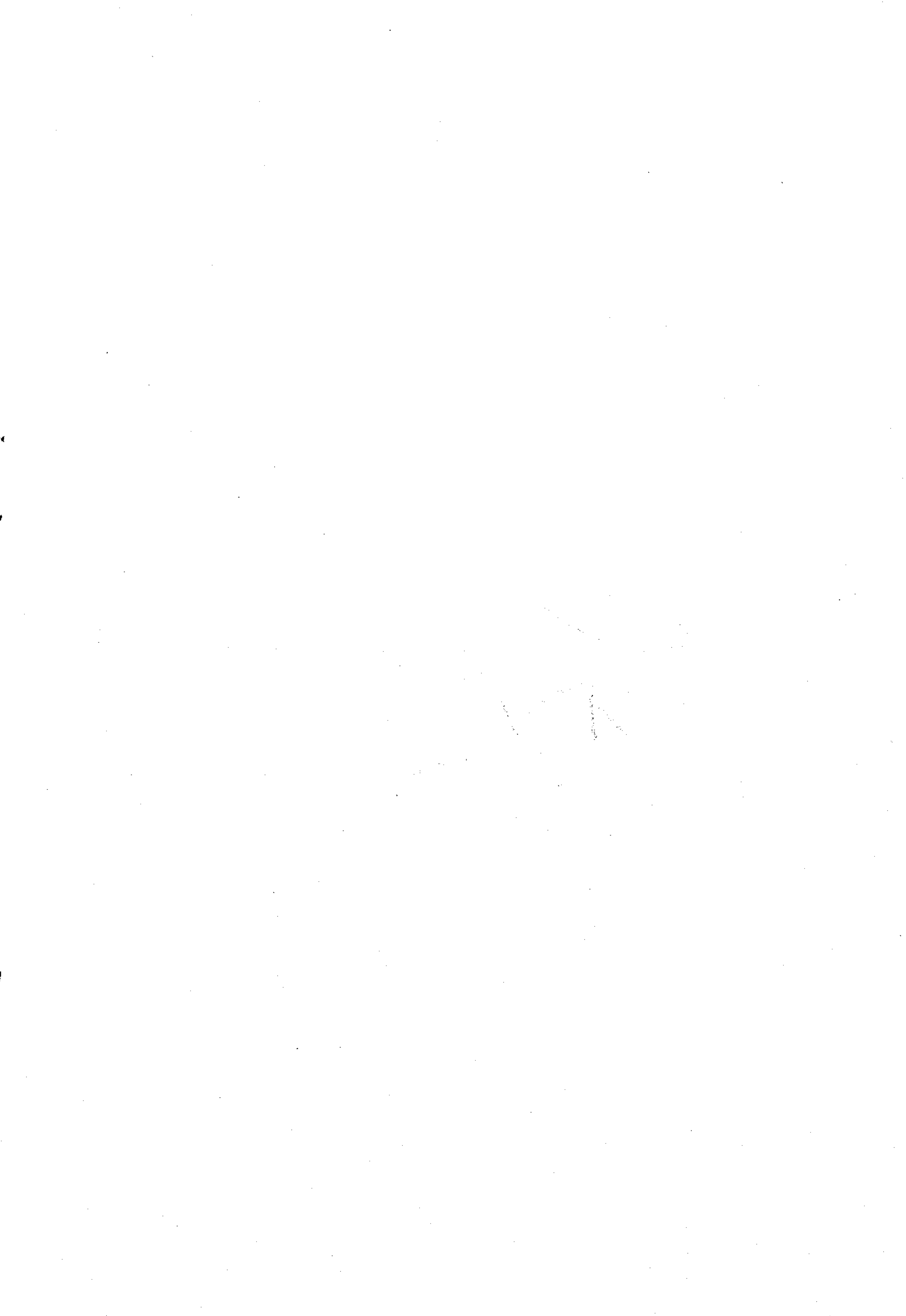

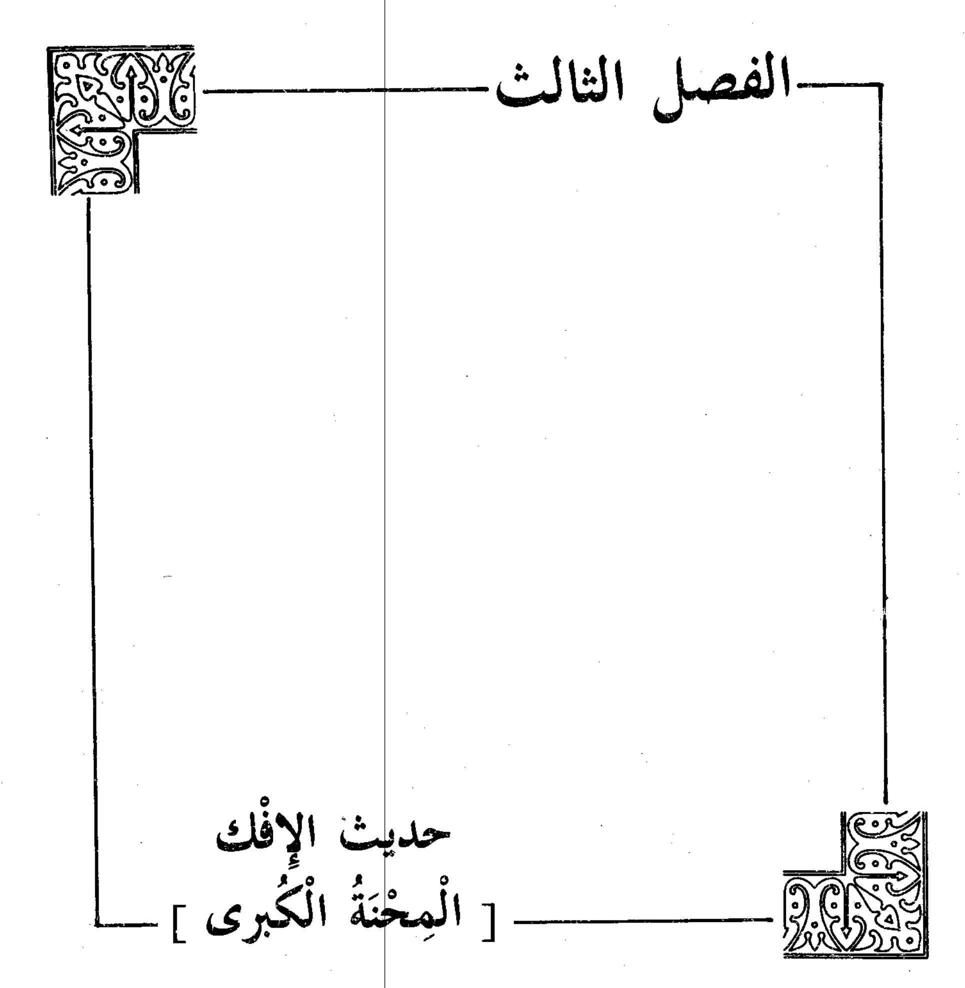

الفصل الثالث

حديث الإِفْك
[الْمِحْنَةُ الْكُبرى]

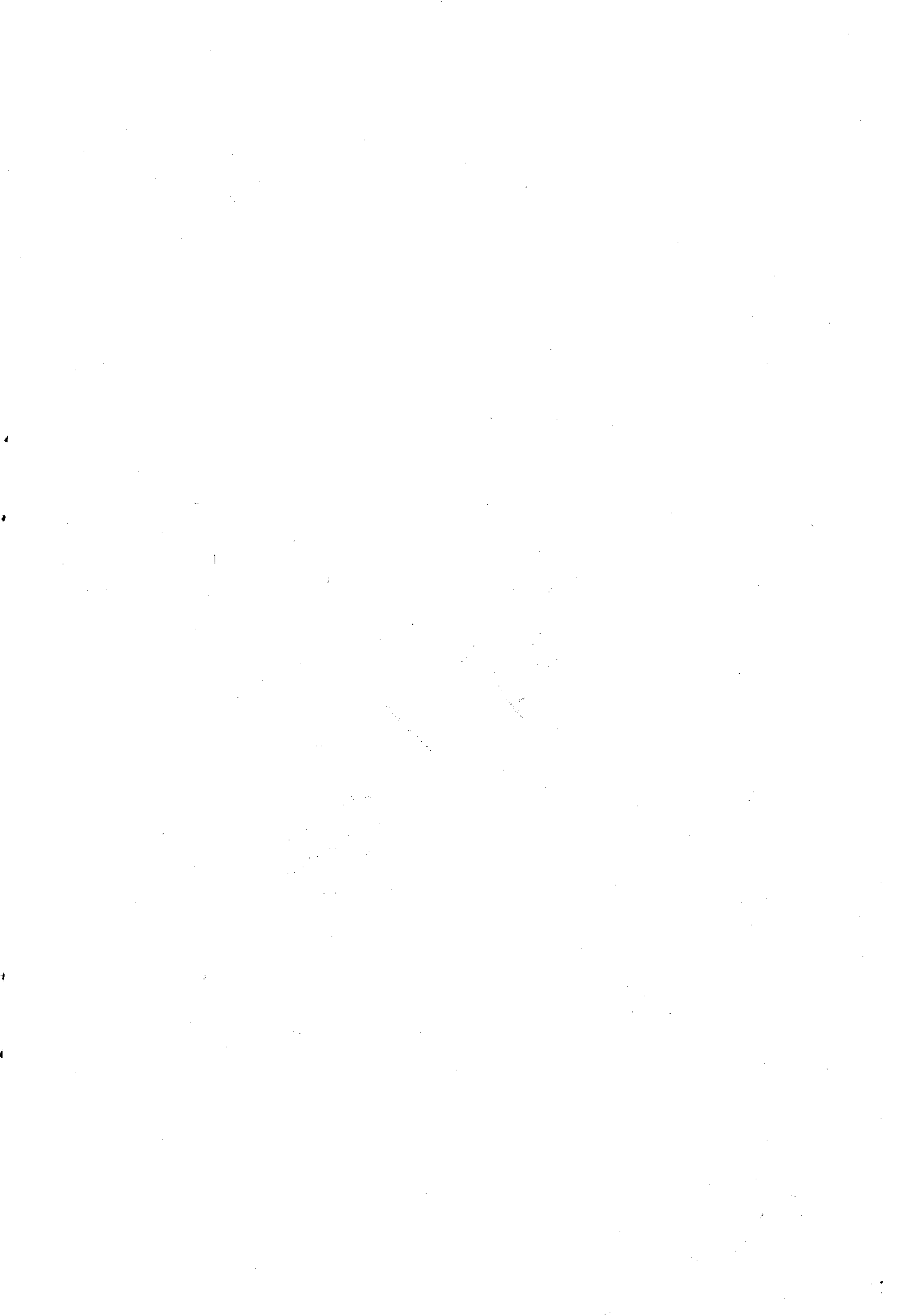

ألسنة المنافقين والحاقدين !!

لم يُعكِّر صفوَ حياة السيدة «عائشة» فى بَيْت النُّبُوَّة وطيلة حياتها فى كَنَفِهِ «عليه السلام» شىء ، سوى حادث الإفْك ، تِلْك المحنة الكُبْرى التى ٱمْتُحنَتْ بها ، ثم خَرجت مِنْها ببراءَةٍ من الله تعالى تُتْلى آيات «بَيِّنات فى الكتاب الكريم ، وهى أَشدُّ صلابةً ، وأَكْثر صفاءً ، وأصْدق إيماناً ، وَأَبْهى إشْراقاً .

ولئِنْ قُدِّرَ لألْسِنَةِ المنافقين والحاقدين أَنْ تَلغَ فى تلك الحمأَة الدّنيئة فى الافْتراء والْبُهتَانِ ، ثم تخْرس بتكذيب السَّماء لها .. ، فمِنْ عَجَبٍ .. كل العَجَب ، أنْ نرى بعد قرونٍ طوال من يُدْلى بدَلْوِهِ من جديد فى ذلك النَّتَن ، ولأَعْجَبُ مِنْه أَنْ يَنْسج على منْوالهم أُناسٌ فى المسلمين !!! طَغَتْ عَلَيْهم نَزْعَةُ اغترابهم مَرَّةَ ، أَوْ نَزْعة مذهبيتهم الْعَصَبِيَّة المقيتة مرَّةً أُخْرى ... وآياتُ الله تتْلى عليْهم ، أو على أَلْسِنَتِهِم ..!!

حديث الإفك وحديث الصِّدْق !!

تحدَّثت السيِّدة «عائشة» عن هذه المحنة فقالت :

ـ [كان رسُولُ الله «ﷺ» إذا أراد أنْ يخْرُج أقْرع بيْن أزواجِهِ ، فأيَّتُهُنَّ خرج سهْمُها خَرج بها رسُول الله «ﷺ» معه

فأقْرع بيْننا فى غزوةٍ غزاها (غزوة بنى المصطلق) ، فخرج سهْمى ، فخرجْتُ مع رسُول الله «ﷺ» ، بعدما نزل الحجاب ، فأنا أُحْمَلُ فى هوْدجى وأُنْزل فيه ، فسِرْنا حتى إذا فرغ رسول الله «ﷺ» من غزوتِهِ تلْك وقفل ، ودَنَوْنا من المدينة قافلين ، آذن ليله بالرحيل ، فقمْتُ ـ حين آذنُوا بالرحيل ـ فمشيْتُ حتى جاوزْتُ الجيْش ، فلمّا قضيْتُ شأْنى أقْبلْتُ إلى رحْلى ، فإذا عقْدٌ لى من جزع أظْفار قد انْقطع ، فالْتمسْتُ عقدى ، وحبسنى ابْتغاؤه ، وأقْبل الرَّهط الذين كانُوا يرْحلون لى فاحْتملُوا هوْدجى ، فرحَلوهُ على بعيرى الذى كنْتُ رَكِبْتُ ، وهُم يحْسبُون أنّى فيه ، وكان النساءُ إذْ ذاك خفافًا لم يُثْقِلْهُنَّ اللحْم ، إنما تأكل العُلْقة[27] من الطعام ، فلَمْ يستنْكر القوْم خِفَّة الهوْدَج حين رفعُوهُ ، وكُنْتُ جارية حديثة السنّ ، فبعثُوا الجمل وسارُوا ، فوجدتُ عقدى بعدما استمرّ الجيْش فجئت منازلهم ، وليْس بها داعٍ ولا مجيب ، فأمَّمْتُ منْزلى الذى كُنْت به ، وظننْتُ أنَّهم سيفقدوننى فيرجعون إلىّ ، فبيْنا أنا جالسة فى منْزلى غلبتْنى عيْنى فنِمْتُ .

وكان «صفوانُ بن المعطّل السلمىّ» ـ ثم الذكْوانى ـ من وراء الجيْش ، فأدْلَجَ فأصْبحَ عِند مَنْزلى ، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم ، فأتانى فعرفنى حين رآنى ، وكان يرانى قبْل الحجاب ، فاستيْقظْتُ باسْترْجاعِهِ حين عرفنى ،

---

(٢٧) أى قليل الطعام .

فخمَّرْتُ وجهي بجلْبابي ، والله ماكلّمني كلمة ولاسمعْت منه كلمة غير آسترْجاعِهِ ، حتى أناخ راحلته فوطىء على يديْها فركبْتُها فانْطلقَ يَقُودُ بي الراحلة حتى أتَيْنا الجيْش بعْدما نَزلُوا موغرين في نَحْر الظهيرة ، فهَلَك من هلك ، وكان الذي تولّى الإفْك «عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول» .

فَقَدِمنْا «المدينة» ،فاشتكيت حين قَدِمْتُ شهْراً ، والناسُ يُفيضُون في قَوْل أصحابِ الإفْك ، لا أشْعُرُ بشيء من ذلك ، وَيَريبني في وَجَعي أنّي لا أعرف من رسول الله «ﷺ» اللُّطْف الذي كُنْتُ أرى مِنْه حين أَشْتكي ، إنما يَدْخل عليَّ رسُول الله «ﷺ» ، فيُسلِّم ثم يقُول :

ـــ كيْف تيكُمْ ؟ ، ثم يَنْصرِف ، فذاك الذي يَرِيبُني ولا أشعر ، حتى خرجْتُ بَعْدما نقهتُ ، فخرجَتْ عليّ « أُمُّ مِسْطح[٢٨] » قبَلَ «المناصِعِ» ، وهُو مُتبَرّزُنا ، وكُنا لا نَخْرجُ إلّا ليْلاً إلى ليْلٍ ، وذلك قَبْل أنْ نتَّخِذ الكنُف قريباً من بُيُوتنا ، وأمرنا أَمْر العَرَب الأُوَل في التبرُّز قَبل الغائط ، فكنّا نتأذّى بالكُنُف نَتَّخذها عِنْد بُيوتنا ، فأَقْبلتُ ، أنا و «أُمّ مِسْطح» قبلَ بيْتي قد فرغْنا من شأْننا ، فعثرت «أُمُّ مِسْطح» في مرْطِها ، فقالت :

ـــ تَعِسَ مِسْطح» .. ، فَقُلْتُ لها : بئس ماقُلْتِ ، أَتَسُبِّين رَجُلاً شهِدَ بَدْراً !! .

قالتْ : أىْ هِنْتاهُ ... أَوَ لَمْ تَسْمعي ماقال ؟ قُلْتُ : وما قال ؟؟فأَخْبرَتْني بقوْل أهل الإفْك ، فآزْدَدْتُ مَرضاً على مَرَضى .

فلمّا رجعتُ إلى بيْتي ، ودَخلَ عليَّ رسُول الله «ﷺ» ثم قال : كيْف تِيكُم ؟! فَقُلْتُ : أتَأْذن لي أَنْ آتي أَبويّ ؟ قالت : وأنا حينئذٍ أُريدُ أَنْ أَسْتيْقِنَ الْخبَر من قَبلهما .

فأذِن لي رسُول الله «ﷺ» ، فجئتُ أَبوَيَّ فَقُلْت لأُمي : ياأُمتاه ... مايتحَدَّث الناس ؟ قالت : يابُنَيّةُ هوّني عَلَيْك ، فوالله لَقلَّ ما كانت امرأة قط

(٢٨) مِسْطح بن أُثاثة .

وضيئة عِنْد رجُل يُحبُّها ولها ضرائر إلاكثَّرْن عليها ، فقُلْتُ : سُبْحان الله ... ولَقَدْ تحدَّث الناسُ بهذا !!!

فبكيتُ تِلْك اللَّيْلة حتى أَصْبَحْتُ لا يَرْقأ لى دَمْع ولا أَكْتَحل بِنَوْمٍ ، حتى أصبحْتُ أبْكى .

فَدَعا رسُول الله «ﷺ» «علىّ بن أبى طالِب» و «أسامةَ بن زَيْد» ــ رضى الله عنهما ــ حين آسْتلْبَث الوحي ، يَستأمِرهما فى فراق أهْله ، فأما «أسامة بن زيْد» فأشار على رسُول الله «ﷺ» بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالّذى يعلم لهم فى نَفْسه من الْوُدّ ، فقال :

ــ يارسُول الله .. أَهْلك .. وما نَعْلم إلاخَيْراً .

وأما «على بن أبى طالب» فقال ؟

ــ يارسُول الله .. لم يُضَيِّق الله عَلَيْك ، والنساء سواها كثير ، وإنْ تَسْأَل الجارية تَصْدقك .

فدعا رسُول الله «ﷺ» ــ «بَريرَةَ» ــ فقال :

ــ أى «بريرة» هل رَأَيْتِ من شَىْء يَريبُكِ ؟

قالت «بريرة» :

ــ لا والذى بَعَثَكَ بالحَقّ إن رأَيْتُ عَلَيْها أَمْراً أغْمِصه عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السِّنّ ، تنام عن عجين أَهْلها ، فتأتى الداجن فتأْكُله .

فقام رسُول الله «ﷺ» فآسْتَعْذَر يَوْمئذ من «عَبْد الله بن أُبَىّ بن سلُول» ، فَقال وهُو على المنْبر :

ــ يامَعشر المسلمين من يَعْذرنى من رجُلٍ قد بلَغنى أذاهُ فى أَهْل بَيْتى ؟ فوالله ماعَلِمْتُ على أَهْلِي إلاخَيْراً ، ولَقَدْ ذكروا رجُلاً ما عَلِمْتُ عَليْه إلاخَيْراً . وما كان يَدْخل على أَهلى إلّا معى .

فقام «سعْد بن مُعاذ» ــ الأنصارىّ ــ فقال :

ـــ يارسول الله أنا أعذرك منْه ، إذ كان من «الأوْس» ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وإنْ كان من إخْواننا من «الْخزْرج» أَمَرْتنا ففعلْنا أَمْرَك .

فقام «سَعْد بن عُبادة» ـــ وهو سيِّد الْخزْرج» ، وكان قَبْل ذلك رجُلاً صالحاً ، ولكن آحْتَملتهُ الحميّة ، فقال لـ «سعْد» :

ـــ كذبْتَ ، لَعَمْرُ الله لاتقتله ، ولا تَقْدر على قَتْلِهِ .. !!

فقام «أُسَيْد بن حُضَيْر» ـــ وهو ابن عَم «سعْد» ـــ فقال لـ «سَعْد بن عُبادة» :

ـــ كذبْتَ لَعَمْر الله فإنك مُنافق تُجادِلُ عن المنافقين .

فتشاوَرَ الحيّان : «الأَوْس» و «الخزرج» حتى هَمُّوا أَنْ يَقْتتِلُوا ، ورسُول الله «صلى الله عليه وسلم» قائم على المنْبر ، فَلَمْ يَزَل يخْفضهم حتى سكتُوا وسَكَتَ .

فَمَكثْتُ يَوْمي ذلك لا يَرْقأ لى دمْع ولا أَكتَحل بنَوْم ، فأَصْبَحَ أبواى عِندى ، وقد بكيْتُ لَيْلتيْن ويَوْماً ، لا أَكْتَحِل بنوْم ولا يَرْقأ لى دمْع ، يَظُنَّانِ أَنّ البُكاء فالق كبدى ؛

فَبِيْنا هُما جالسان عندى ، وأنا أَبْكى ، فآسْتَأْذَنَتْ علىَّ امرأة من الأنْصَار ، فأذِنْتُ لها ، فجلستْ ، تَبكى معى ، فَبَيْنما نحن على ذلك دَخَلَ عَلَيْنا رسُول الله «صلى الله عليه وسلم» فسَلَّم ثم جَلَس ، ولم يَجْلس عنْدى مُنْذ قيل ما قيل قَبْلها ، وقَدْ لبث شَهْراً لا يُوحى إليْه فى شأْنى ، فَتَشَهَّد رسُولُ الله «صلى الله عليه وسلم» حين جَلَس ، ثم قال :

ـــ أَمّا بَعْد يا «عائشة» فإنّه قد بَلَغني عَنْك كذا وكذا ، فإنْ كُنتِ بريئة فَسيُبرِّئك الله ، وإن كُنْتِ أَلْمَمْتِ ذَنباً فآسْتَغْفرى الله وتوبى إليْه ، فإنّ الْعَبْد إذا اعْتَرَف بِذَنْبِهِ ثم تاب إلى الله ، تاب الله عليه ...

فلمّا قضى رسُول الله «صلى الله عليه وسلم» مقالَتَهُ قَلَصَ دمْعي حتى ما أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرة ، فقُلْتُ لأبى : أَجِبْ عنى رسُول الله «صلى الله عليه وسلم» فيما قال ؛ قال : والله ما أَدْرى ما أَقول لرَسُول الله «صلى الله عليه وسلم» ، فقُلْتُ لأُمّى : أجيبى رسُول الله «صلى الله عليه وسلم» ، قالت : ما أَدْرى ما أقولُ لرسُول الله «صلى الله عليه وسلم» ...

فَقُلتُ : — وأنا جارية حديثة السّنّ لا أقرأ كثيراً من القرآن — :

— إنّى والله لقد علمت لقد سَمعتم هذا الحديث حتى ٱستَقَرَّ فى أَنْفُسِكُم وصَدَّقْتُم بِهِ ، فلئن قُلْتُ لكم إنى بريئة — والله يعلم أنى بريئة — لا تُصَدِّقُونى بذلك ، ولئن ٱعْتَرَفْتُ لكم بأمْر — والله يَعْلم أَنى منْهُ بريئة — لتصدقنى ، والله ما أَجِدُ لكم مَثَلاً إلّا قَوْل «أبي يوسف »[٢٩] .

﴿فَصبْرٌ جميل والله المسْتعانُ على ما تَصِفُون﴾ .

ثُمّ تَحوّلت فٱضطجعْتُ على فراشي ، وأنا حينئذٍ أَعْلَمُ أَنّى بريئة ، وأَنّ الله مُبِّرئى ببراءَتى ، ولكن والله ما كُنْتُ أَظُنّ أَنّ الله مُنْزِل فى شأْنى وَحْيًا يتْلى ، ولَشَأْنى فى نَفْسى كان أَحْقر من أَن يتكلم الله فِىَّ بأَمْرٍ يُتْلى ، ولكن كُنْتُ أَرْجُو أن يرى رسُول الله « ﷺ » فى النَّوْم رؤيا يُبرِّئنى الله بها .

فوالله مادام رسُولُ الله « ﷺ » ولا خَرَج أَحَدٌ من أَهْل البيْت حتى أُنْزِل عَلَيْه ، فَأَخَذَهُ ماكان يَأْخُذُهُ من الْبرحاء حتى إنّه ليتحَدَّر منه مِثْل الجُمانِ[٣٠] من الْعَرَق ، وهو فى يَوْمٍ شاتٍ ، من ثِقَلِ الْقَوْل الذى يَنْزِل عليه ، فلمّا سُرّى عن رسُول الله « ﷺ » سُرّى عَنْه وهُوَ يَضْحَك ، فكانَتْ أَوّل كلمةٍ تَكَلّم بها :

— يا « عائشة » أمّا الله عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ ...

فقالت أُمى : قُومى إليْه ...

فقُلْتُ : والله لا أَقُومُ إلَيْه ، ولا أَحْمَدُ إلّا الله عَزّ وَجَلَّ ...

وأَنْزَل الله عَزّ وَجَلَّ :

﴿ إنّ الذين جاءوا بالإفْك عُصْبَةٌ مِنكُم ... ﴾ الْعَشْرُ الآياتِ كُلّها[٣١] .

فلمّا أَنْزَل الله هذا فى براءتى ، قال « أبو بكر « الصّدّيق » — رضى الله عنه — وكان يُنْفق على «مِسْطح بن أُثاثة » لقرابَتِه منه وفقْره :

---

(٢٩) « يعْقُوب » — عليه السلام .

(٣٠) الجمان : اللؤلؤ .

(٣١) سورة (النور) الآيات (١١ — ٢٠) .

– والله لا أُنْفِق على « مِسْطح » شيْئا أبدًا بعد الذى قال لـ « عائشة » ما قال ؛ فأَنْزَل الله :

﴿ ولا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُم والسَّعةِ أَنْ يُؤْتوا أُولِى الْقُربى والمساكِين والمهاجرين فى سبيل الله ، وَلْيَعْفوا ولْيَصْفَحُوا ، ألا تُحبُّون أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لكُم والله غفورٌ رحيم ﴾(٣٢)

قال « أبو بكر » : بلىٰ والله إنّى أُحبُّ أَنْ يَغْفر الله لى ... فَرَجع إلى « مِسْطح » النفقة التى كان يُنْفِقُ عَلَيْه ، وقال : والله لا أَنْزعها منه أبدًا .]

قالت « عائشة » :

– [وكان رسُول الله « ﷺ » يَسْأل « زيْنب بنت جَحْش » عن أَمْرى فقال : يا« زينب » ماذا علمْتِ أَوْ رَأَيْتِ ؟ فقالت : يارسُول الله أَحْمى سَمْعى وبَصَرى ، ما عَلِمْتُ إلّا خَيْرًا]

قالت « عائشة » :

[وهى التى كانت تساميني من أزواج رسُول الله « ﷺ » ، فَعَصَمها الله بالْوَرَع ، وطَفِقَتْ أُختُها « حَمْنَةُ » تُحارِبُ لها ، فهلكتْ فيمن هَلَكَ من أَصْحابِ الإفْك] .

هكذا خرجَت السَّيِّدة « عائشة » – رضى الله عَنْها – من المحْنة بشهادةٍ ربانيَّةٍ ببراءَتها وطُهْرها وطيبها ...

شهادة لا تمحُوها الأيام ولا تُبْليها الأعوام ... ، مِمّا زاد فى مكانتها فى قلْب ونَفْس رسُول الله «ﷺ» ، وأَعْلى مقامها عنده وعِنْد المؤمنين الطّاهرين إلى يوم الدين .

(٣٢) سورة (النور) الآية (٢٢) .

الْغَيْرى ... الصادقة

وهنا .. نَدْخل فى مواقف نسائية تُصوّر جانبًا مِنْ نفسية « عائشة » الأنثى ... ، والمرأة ... والزَّوْجة ... ، ولكنها أَيْضًا وفى نفس الوَقْت تصوِّر مقام « عائشة » ومرْتَبَتها فيما صَدَّرْنا بهِ عُنوان البحْث ، من أنّها « مُعلِّمة الرجال والأجيال » ... إذ لوْلا الصِّدْق فى الحديث ، والأمانة فى النَّقْل لما وصلتْنا تلْك النُّقول ، رُغْم أنّها تُصَوِّرُ جانبًا من الضَّعْف الإنسانىّ عِنْدها .

تحدّثنا – رضى الله عنها – فتقول :

– [ما رَأَيْتُ صانعَةَ طعامٍ مِثْل « صفيَّة » ، أَهْدَتْ إلى النبىِّ « ﷺ » إناءً فيه طعام ، فما ملكْتُ نفسى أن كَسرْتُه !!! فَسَأَلْتُ النبى « ﷺ » عن كفّارتِهِ فقال : **إناءٌ كإناءٍ ، وطعامٌ كطعامٍ**][33]

وتقول – رضى الله عنها – :

– [استأْذَنَتْ « هالة بنْتُ خُوَيْلد » – أُخْتُ « خديجة » على رسُول الله « ﷺ » ، **فَعَرَفَ** استئْذان « خديجة » ، فَآرْتاح لذلك ، فقال : **اللَّهُمَّ « هالةُ بنت خويْلد »** ، **فَغِرْتُ فَقُلْتُ** : وما تذكر من عجوزٍ من عجائز قريش حمْراء الشدْقيْن ، هلكتْ فى الدَّهر ، فَأَبْدَلَكَ الله خَيْرًا منها !!!

قال « ﷺ » :

– ما أَبْدَلنى الله خَيْرًا منها ... ، قد آمنت بى إذْ كَفَرَ بى الناس ، وصدّقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستْنى بمالها إذ حَرَمنى الناس ، ورزقنى الله أوْلادها وحَرَمنى أولاد الناس][34]

---

(٣٣) البخارى والنسائى .

(٣٤) مسلم وأحمد .

وقالت :

– [**ما غِرْتُ على آمرأةٍ ما غِرْتُ على « خديجة » ، ولقد هَلَكَتْ قبْل أن يتزوّجني بثلاث سنين ، لما كُنْتُ أسْمَعُه يَذْكُرُها ، ولقد أمَرَهُ رَبُّه عزّ وَجَلَّ أن يُبَشِّرها ببيْتٍ من قَصَبٍ فى الجنة ، وإن كان لَيَذْبح الشّاة ثم يهْديها إلى خَلائلها ...]**(٣٥)

وقالت :

– [أَرْسل أزواج النبيِّ «ﷺ» « فاطمة » بنت رسُول الله « ﷺ » إلى رسُول الله «ﷺ» ، فآستأذنَتْ عليْه ، وَهُوَ مُضْطجِعٌ معى فى مِرْطى ، فَأَذِن لها ، فقالت :

– يارسول الله ، إن أزواجَكَ أَرْسلنَنِى إلْيك يَسْأَلْنَكَ العدْل فى « ابنةِ أبى قُحافة » ...

وأنا ساكتة ...

فقال لها رسُول الله « ﷺ » :

– **أىْ بُنيَّة ... ألَسْتِ تُحبيّن ما أُحبّ ؟ فقالت : بلى ، قال : فَأَحبّى هذه ...**

فقامت « فاطمة » حين سَمِعَتْ ذلك من رسُول الله « ﷺ » ، فَرجعت إلى أزواج النبىِّ «ﷺ» فَأَخبَرتْهُنَّ بالّذى قال لها رسُولُ الله « ﷺ » ، فَقُلْن لها : ما نراكِ أَغْنَيْتِ عنّا من شىْء ، فآرجعى إلى رسُول الله « ﷺ » فقُولى له : إن أزواجَكَ يَنْشدْنك العدْل فى « ابنةِ أبى قُحافة » فقالت « فاطمة » : والله لا أُكلِّمُهُ فيها أَبدا ...

فأرْسل أزواج النبيِّ « ﷺ » « زيْنَب بنت جَحْش » زوْج النبىّ « ﷺ » وهي التى كانت تُساميني منهن فى المنزلة عند رسُول الله « ﷺ » ، ولم أَرَ آمْرأة قطّ خيْرًا فى الدِّين من « زيْنَب » وأتقى لِلّه ، وأَصْدَق حديثًا وأَوْصَلَ لِلرَّحم وأَعْظم صَدَقةً وأَشَدّ ابْتذالًا لِنَفْسها فى العمل الذى تَصدَّقُ به وتَقرَّبُ به إلى الله تعالى .. ، ما عدا سَوْرة مِنْ حدَّةٍ كانَتْ فيها ، تُسْرِعُ منها

---

(٣٥) متفق عليه .

الفيئة ... [٣٦] ،

فأستأْذنتْ على رسُول الله « ﷺ » ،

(ورسُولُ اللهِ « ﷺ » مع « عائشة » فى مِرْطها ، على الحالة التى دَخَلَتْ « فاطمة » عليها ، وهُو بها)

فَأَذِنَ لها رسُول الله « ﷺ » فقالت :

– يارسُول الله ، إن أزواجك أَرْسلْننى إليْك يَسأَلْنَكَ الْعَدْل فى « آبْنَةِ أبى قُحافة » ...

ثم وَقَفَتْ بى فآسْتَطالَتْ علىَّ ، وأنا أَرْقُبُ رسُول الله « ﷺ » ، وأَرْقُبُ طَرْفَهُ ، هل يَأْذَنُ لى فيها ...

فلَمْ تَبْرح « زينب » حتى عَرَفْتُ أن رسُول الله « ﷺ » **لا يكرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ ، فلمّا أَوْقَعْتُ بها لم أَنْشبْها حتى أنْحيْتُ عَلَيْها** ...

فقال رسُول الله « ﷺ » :

– [**إنها آبْنَةُ « أبى بكْر »**] .

(٣٦) لعلَّ الواقف على تمام النّقل وأمانة الأداء من « عائشة » ، مع هذا التصْوير والوصْف ، يُدْرك من غيْر عناءٍ عظمة أُمّ المؤمنين ... « أُمّ عبد الله – رضى الله عنها – .

السيِّدة « عائشة » ... والمرأة !!

كان للسيِّدة « عائشة » -- رضى الله عنها -- دَوْر كبير فى نُصْرةِ حقوق المرأة ، ودفاعها عن إنسانيَّتها ، حتى غدت زعيمة الآخذين بناصرِ المرأةِ والمدافعين عنها ، وإليْها وحْدها تطلّعتْ أَبْصار المستضْعفاتِ والمضطهداتِ لما لها من مكانةٍ كُبْرى عند رسُولِ الله « ﷺ » ...

وكمْ نَزَل الوحْى على النبيِّ « ﷺ » فى حُجْرتها بسبب شكاياتِهِنَّ وقضاياهُنَّ !!

قالت رضى الله عنها -- :

-- [**كان الناس ... والرَّجُل يُطلّق آمرأتَهُ ماشاءَ أَنْ يُطلّقها ، وهي آمْرأتُه إذا آرْتَجعها وهى فى الْعِدَّة ، وإنْ طلّقها مائة مرَّة ، حتى قال رَجُلٌ لامْرأتِهِ : واللهِ لا أُطلِّقك فتبينين منّى ، ولا آويك أبدا ، قالت : وكيْف ذاك ؟ قال : أُطلِّقُك فكُلّما همَّتْ عدَّتُك أَنْ تنْقضى راجعْتُك ؛ فذهبتِ المرأةُ حتى دَخلتْ على «عائشة» فأَخْبرتْها ، فسكَتتْ «عائشة» حتى جاءَ** النبىُّ «ﷺ» فأَخْبَرتْه ، فسَكَت النبىُّ «ﷺ» حتى نَزَل الْقُرْآن :

﴿ **الطّلاقُ مَرَّتانِ ، فإمْساكٌ بمعْروفٍ أَوْ تَسْريحٌ بإحْسان** ﴾[٣٧]

قالت « عائشة » :

-- **فآستَقْبل الناسُ الطلاق مُستقْبلا ، مَنْ كان طَلَّق ومَنْ لم يكُنْ طَلَّق**][٣٨]

ومن هذا القبيل أَيْضًا قوْلها -- رضى الله عنها -- :

-- [**تبارك الذى وَسع سَمْعُهُ كُلَّ شَىْء .. ، إنّى لأَسْمَعُ كلام « خَوْلة بنْتِ ثَعْلبة » ، ويخفى علىَّ بعْضُهُ . وهى تشتكى زوْجها إلى رسُول الله « ﷺ »**

---

(٣٧) البقرة : ٢٢٩

(٣٨) رواه الترمذى .

وهى تقول :

- يارسُول الله ... أَكل شبابى ونثَرْتُ لهُ بَطْنى ، حتى إذا كبرتْ سنى وآنْقطَعَ وَلَدى ، ظاهَرَ مِنّى ، اللَّهم إنى أشكُو إليْك .

فما برحَتْ حتى نزَل « جبرائيل » بهذه الآيات :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّتى تُجادلُك فى زَوْجها وتَشْتكى إلى الله[39] ﴾[40]]

وهذه زوجة « ثابت بن قَيْس » ضربها زوْجُها فكسَر بَعْضَها ، فأتَتْ رسُول الله « ﷺ » وهو فى حُجْرة السيِّدة « عائشة » . فآشْتَكتْهُ إليْه ، فَدعا النبىُّ « ﷺ » « ثابتًا » فقال :

- [خُذْ بَعْضَ مالِها وفارِقْها[41]] ...

وهذه فتاةٌ تدخُلُ أيْضًا على السيِّدة « عائشة » قائلةً :

- إنْ أبى زَوَّجنى من ابْن أخيه لِيرْفَعَ بى خسيستَهُ ، وأنا كارِهَةٌ ، فقالت لها « عائشة » :

- اجْلسى حتى يأْتى النبىُّ « ﷺ » ...

فجاء رسُول الله « ﷺ » فأخبرَتْهُ ، فأَرْسل إلى أَبيها فدعاهُ ، فجعَلَ الأَمْرَ إليْها ، فقالت :

- يارسُول الله ، قد أجزْتُ ما صنَعَ أبى ، ولكن أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ ، أَلِلنِّساءِ من الأمْرِ شَىْءٍ ؟][42]

وظلّت السيِّدة « عائشة » رضى الله عنها - بَعْد وفاةِ النبىِّ « ﷺ » زعيمة المدافِعين عن المرْأة ، تُنْكر على كُلِّ مَنْ يتكلَّم بشَىْء ينال من كرامة المرْأة ، وتغضب مِنْه .

[دخَلَ عليْها رجُلان فقالا : إن « أبا هُرَيْرة » يحدِّثُ أَنّ النبىَّ « ﷺ » كان يقول :

- [إنّما الطِّيَرةُ فى المرأة ، والدابّة ، والدّار]

---

(٣٩) سورة (المجادلة) الآية (١) .
(٤٠) أبو داود .
(٤١) البخارى وابن ماجه .
(٤٢) الفتاة هى : « خنساء بنت خِذام » رواه البخارى والنسائى .

فطارت شقّة منها فى السّماء ، وشقّة منها فى الأرض[٤٣] ، وقالت :

– **والذى أَنْزَل الْقُرآن على « أبى القاسم » ما هكذا كان يَقُول ، ولكن كان نبىُّ الله « ﷺ » يَقُول :**

– **[كانَ أَهْل الجاهليّة يَقُولون : الطِّيَرَةُ فى المرأة والدابّة والدار]**

ثم قرأتْ : ﴿ **ما أَصابَ من مُصيبةٍ فى الْأَرْض ولا فى أَنْفُسِكُم إلّا فى كتابٍ من قَبْلِ أَنْ نَبْرأها** ﴾[٤٤]][٤٥]

وكما كانَتْ – رضى الله عنها – شديدة الدِّفاع عن المرأة ، كانت فى نَفْس الوقْت شديدة الإنكار على اللّواتى يخالِفْنَ بَعْض أحكام الشريعة ، فقد واجهت نساءَ « حِمْص » عندما دَخلْنَ عليها قائلةً :

– **[لَعلَّكُنَّ من اللّواتى يدخُلْنَ الحمّامات . سَمِعْتُ رسُول الله « ﷺ » يقول :**

[أَيُّما امرأةٍ وَضَعَتْ ثيابها فى غيْرِ بَيْت زَوْجها ، فَقَدْ هَتَكَتْ ستْر ما بَيْنها وبَيْن الله][٤٦]

وحينما رَأَتْ تَغيُّرًا فى ملابس بعض النساء ، بعد عَهْد النبىّ « ﷺ » أنكَرَتْ ذلك وقالتْ :

– **[لو أَنَّ رسُول الله « ﷺ » رأى ما أَحْدث النّساءُ لَمَنعهُنَّ المسجد كما منعت نساءُ بنى إسرائيل]**[٤٧]

ولقد كانَتْ – رضى الله عنها – شديدة الحِرْص على أن تكُون ثيابُ المرأة ساترةً لها عن الرجال الأجانب ، فإذا ما رَأَتْ على إحْداهُنَّ ثَوْبًا رقيقًا زَجَرَتْها ، وبادَرَتْ إلى تمزيقِهِ ،

كما فَعَلَتْ مع « حَفْصة بنت عبد الرحمن » ...

---

(٤٣) كناية عن شدة الغضب .

(٤٤) الحديد : ٢٢

(٤٥) رواه أحمد .

(٤٦) أحمد وأبو داود وابن ماجه .

(٤٧) متفق عليه .

أخرج « ابن سعْد » فى طبقاتِهِ :

– [أن « حَفْصة بنت عبد الرحمن » دخلَتْ على أُمّ المؤمنين ، وعلى « حَفْصَةَ » خمار رقيق ، فَشَقَّتْه « عائشة » عليْها ، وكسَتْها خمارًا كثيفًا]

ورُوى عنها :

– [يَرْحم الله النساء المهاجرات الأُوَل ،لَمَّا أَنْزَلَ الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بخُمُرهِنّ على جُيُوبِهِنَّ ﴾ شَقَقْنَ أَكْثَفَ مُرُوطِهِنَّ فٱخْتَمَرْنَ بها][48]

وكانت تقول :

– [إنّما الْخِمارُ ما وارى الشَّعْر والبَشرَ][49]

(٤٨) البخارى وأبو داود .

(٤٩) المصنّف [٣ – ١٣٣] .

الفصْل الرابع

- بَعْد وفاة رسُول الله « صلى الله عليه وسلم ».
- فى عَهْد الشيخيْن : « أبى بكْر » و« عُمَر »
- فى عَهْد عُثْمان
- وقعةُ « الْجَمَلِ »

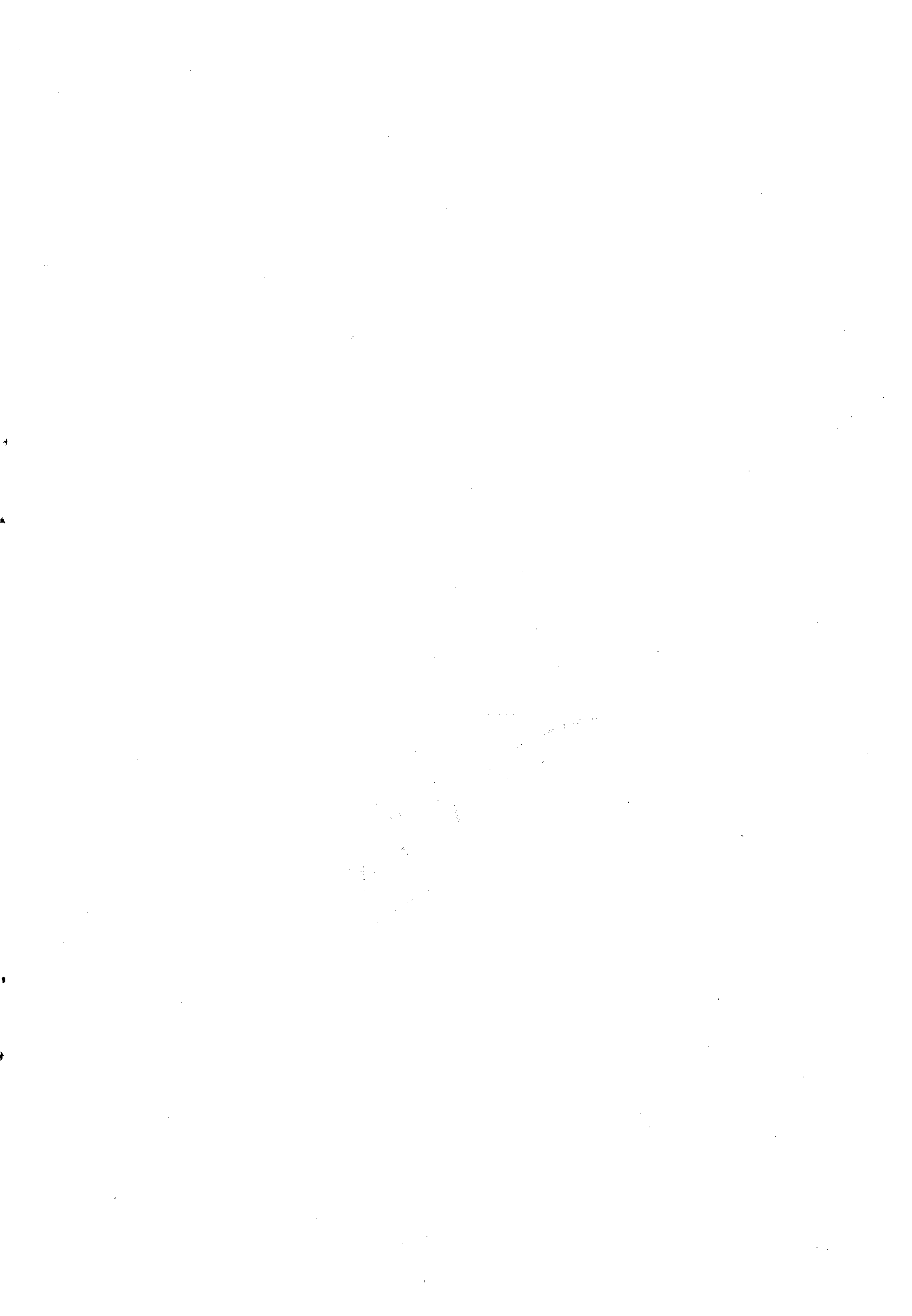

الشرف العظيم !!

نالت السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – شَرَفَ خدْمة النبيِّ « ﷺ » وتمريضِهِ فى أيامِهِ الأخيرة ، فما إن شَعَرَ بالمرض حتى أخذ يَسْأَل :

– **أَيْن أنا غدًا ؟ أَيْن أنا غدًا ؟**

حِرْصًا منه « ﷺ » على بَيْتِ « عائشة »؛ وبقائه فيه .

ولذا استأْذَنَ أزواجه أن يُمَرَّض فى بَيْتِها ، فَأَذِنَّ له أن يكونَ حيْثُ يُحبُّ ويختار .

قالت – رضى الله عنها – :

– [**فمات « ﷺ » فى اليوْم الذى كان يدورُ علَيَّ فيه ، فقبضَهُ الله عَزَّ وجَلَّ وإنَّ رَأسَهُ لَبَيْن سَحْرى ونَحْرى ، وخالط رِيقُهُ ريقى**](٥٠)

وقالت – رضى الله عنها – :

– [**إن من نِعَم الله علَيَّ أَنَّ رسُول الله « ﷺ » تُوفِّى فى بَيْتى وفى يوْمى ، وبيْن سحْرى ونَحْرى ، وأَنَّ الله جَمَع بَيْن ريقى وريقه عند موْتِهِ ، دخَلَ علَيَّ « عبد الرحمن » وبيده السِّواك ، وأنا مُسْندة رسُولَ الله « ﷺ » فرأيْته ينظر إليه ، وعرفْتُ أَنَّهُ يُحبُّ السِّواك ، فقُلْتُ : آخُذُهُ لَكَ ؟؟ فأَشار برأْسِهِ أَنْ نَعم ، فتناوَلْته ، فاشْتَدَّ عليه ، وقُلْتُ : أُلَيِّنُهُ لك ؟؟ فأشار برأْسِهِ أَنْ نَعم فَلَيَّنْتُهُ ، وبيْن يديْه ركْوة ، أو عُلْبة ، فيها ماء ، فَجَعل يُدْخل يديْه فى الماء فَيَمْسح بهما وَجْهَهُ ، يقول :**

– **لا إله إلّا الله ، إنّ للموْتِ سكرات ...**

ثم نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يقول :

– **فى الرفيق الأعْلى ...**

حتى قُبِضَ ومالتْ يده](٥١)

---

(٥٠) البخارى .

(٥١) متفق عليه .

وَظَلَّتْ – رضى الله عنها – فى هذه المرحلة العصيبة التى مرَّتْ بها ، رابطة الجأْش ، ثابتة القلْب والنَّفْس ، على الرغْم من شدّة سكرات الموْت التى عاناها « ﷺ » حتى كانَتْ تقول :

– [**مات رسُولُ الله « ﷺ » وإنّه لَبَيْنَ حاقنتى وذاقنتى[٥٢] ، فلا أكره شِدَّة الموْت لِأَحدٍ بعد ما رأيت رسُولَ الله « ﷺ »[٥٣]**

ودُفِنَ رسُولُ الله « ﷺ » فى حُجْرةِ السيِّدة – رضى الله عنها – ؛ فى المكانِ الذي تَوَفَّاهُ الله تعالى فيه .

ووَقَعَ فى حجْرتها الْقَمَرُ الأوّل !!!

وكانَتْ – رضى الله عنها – قد رَأَتْ فى نَوْمها كَأَنَّ ثلاثة أَقْمارٍ سَقَطْنَ فى حُجْرتها .

وقد أَوّل لها ذلك أبوها « الصِّدِّيق » – رضى الله عنه – فقال : إن صَدَقَتْ رؤياك دُفِنَ فى بَيْتك خَيْر أَهْل الأرض ، ثلاثة ، فلّما مات النبيُّ « ﷺ » قال لها « أبو بكْر » خَيْر أَقْمارك يا« عائشة » .

ثم دُفن فى بَيْتها « أبو بكر » و« عُمَر »[٥٤] .

(٥٢) أى على صَدْرها .

(٥٣) البخارى والنسائى وابن ماجه .

(٥٤) رواه الطبرانى .

بعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم »

قال الله تعالى :

﴿ النبيُّ أَوْلى بالمؤمنين من أَنْفُسِهم وأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهم ... ﴾

وقال :

﴿ يانساءَ النبيِّ لستُنَّ كأَحَدٍ من النساء إن آتَّقَيْتُنَّ فلا تخْضَعْنَ بالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الذى فى قلْبِهِ مَرَض ، وقُلْنَ قَوْلًا مَعْروفا ﴾

وقال :

﴿ وقَرْنَ فى بُيُوتكُنَّ ولا تَبرَّجْن تَبرُّج الجاهليَّة الأولى ، وأَقِمْنَ الصلاةَ وآتين الزكاة وأطِعْنَ الله ورسُوله ، إنّما يُريد الله لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْس أَهْلَ البيْتِ ويُطَهِّركم تطهيرا ﴾

وقال :

﴿ وآذكُرْنَ ما يُتْلى فى بُيُوتِكُنَّ من آياتِ الله والحكْمة إن الله كان لطيفًا خبيرا ﴾

لقد رَفَعَ الله أُمّهات المؤمنين إلى مقام تَنْدقُّ دونه الرِّقاب ، أحاطهُنَّ برعايةٍ وتقْديسٍ أَذْعَنَ لهُنَّ من أَجلهنَّ كُلّ مُسْلم ، وأَنْزل فى إعظامِهنَّ قرآنًا يُتْلى ، مُنْذ أربعة عشر قرْنًا إلى قيام الساعة .

يسمعه المؤمن فيمتلىء صدره إجلالًا لِمَنْ شاركْن الرسُول « صلى الله عليه وسلم » فى ضرّائه وسرّائه ، وصَبَرْن معه على شظف العيْش ، وتحمّلن معه صروف الأذى وخَفَّفْنَ عَنْه ما يجد من آلام فى سبيل الدعْوة إلى الله .[٥٥]

وظلّت بيوتُهُنَّ – رضى الله عنهنَّ – مهابط الوحى والرحمة والهُدى مدى حياته – عليه الصلاة والسلام – ، فلمّا آنْتقل إلى جوار رَبِّه بقيتْ هذه

(٥٥) عائشة والسياسة .

البيوت مثابةً للناس ، يقصدونها متعلِّمين مُسْتفْتين أَوْ مُلْتَجئين مستغيثين ، فكانَتْ تَهْدى الحائر ، وتعلِّم الجاهل ، وتحمى الملتجىء ، وتُنْجد المستغيث ، وظَلَّ الناس جميعًا على اختلاف طبقاتِهم – الخلفاء فمن دُونَهُم – يَخضَعون لأزواج رسُول الله « ﷺ » خُضُوع الأَبْرارِ لِأُمّهاتهم(٥٦)

وكانت السيِّدة « عائشة » عَلَمًا بَيْنهُنَّ، بما امتازَتْ من عظيم المحبَّة ورفيع المكانة عند رسُول الله « ﷺ » ، وبما تَمّ لها من المكانة الكبيرة فى الْعِلْم والْأَدَب ، حتى آحْتاج إليها خاصُّ الْأُمّة وعامّتها ، فَرَحَلُوا إلَيْها من مختلف الأقطار والأمصار ، ومما زاد فى إقْبال الناسِ عَلَيْها شوْقهم لزيارة النبىّ « ﷺ » ، فَأَصْبَحَتْ حُجْرتها كعْبة المحبين ومقْصد المشتاقين ، وَرَوْح أرواح المؤمنين .

(٥٦) عائشة والسياسة .

فى عَهْد « الصِّدِّيق »

ـــ رضى الله عنه ـــ

لَزِمَت السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – حُجْرتها بعد وفاةِ النبىّ « ﷺ » تُعَزِّى نَفْسها بجواره « عليه السلام » ، ولم يَظْهرْ للناس دَوْرها العلمىّ الذى قامَتْ به بعد ذلك نَظرًا لحداثة العهد برسُول الله « ﷺ » وآنشغال الناس بحروب الرِّدَّة ، ولمّا أراد أزواجه « عليه السلام » أنْ يُرْسِلْنَ « عثمان » إلى « أبى بكْر » يَسْألْنَهُ ميراثهُنَّ من رسُول الله « ﷺ » ، قالت « عائشة » لهُنَّ :

– [**أَوَ لَيْس قد قال رسُولُ الله « ﷺ » :**

– [**نَحْنُ معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركْناهُ صَدَقة**][57]

ولم تطُلْ خلافة « أبى بكْر » – رضى الله عنه – ، فكانت سنتيْن وثلاثة أشْهُرٍ وعشر ليالٍ .

ولما حَضَرَتْهُ الوفاة ، بعد مَرَض استمرَّ خمسة عشر يَوْمًا ، أَوْصى « عائشة » أن يُدْفَنَ إلى جَنْب رسُول الله « ﷺ » .

فَحُفِرَت لهُ حُفْرة فى حُجْرتها ، وجُعِلَ رَأْسُهُ عندكَتِفَىْ رسُول الله « ﷺ » ، أُلْصِقَ اللَّحْد بقبْر رسُول الله ... ، ورُشّ عليه الماء .

كما وَلّاها – رضى الله عَنْهُ وعَنْها – أَنْ تُنَفِّذ وصيَّتَهُ التى قال فيها :

– إنى قد نَحَلْتك حائطًا (بُسْتانًا) وإن فى نَفْسى مِنْه شيْئًا ، فَرُدِّيه إلى الميراث ، ثم قال :

ــ أما إنَّا مُنْذ وُلينا أَمر المسلمين لم نأْكُلْ دِرْهَمًا ولا دينارًا ، ولكنّا قد أَكَلْنا من جريشِ طعامهم فى بُطُونِنا ، ولبسْنا من خَشِنِ ثيابهِم على ظُهُورنا ، ولَيْس

(٥٧) رواه أحمد .

عِنْدنا من فىْء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبْد الحبشىّ ، وهذا البعير النّاضِح ، وجرْد هذه القطيفة ،

فإذا متُّ فآبْعثى بهنَّ إلى « عمر » وآبرئى مِنْهُنَّ ؛
فَفَعَلَتْ .

فلمّا جاءَ الرسُولُ « عُمَرَ » بكى حتى جَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسيلُ فى الْأَرْض ، ويقول :

– رَحِمَ الله « أبا بكْر » لقد أتْعبَ مَنْ بَعْدَه ... رَحِمَ الله « أبا بكْر » لقد أتْعبَ مَنْ بَعْدَه .

وفى عَهْد « عُمَر » ...

بدأت المكانة العلميَّةُ الكُبْرى لـ « عائشة » – رضى الله عنها – تَظْهَر وتتألّقُ ، فكان « الفاروق » وغيره من كبار الصحابة إذا أشكل عَلَيْهم أمر ، خاصّة فى الشؤون الشخصية للإنسان ، يَسْألُون عَنْه « عائشة » – رضى الله عنها –

أخْرَج « ابن سَعْد » فى طبقاته عن « محمود بن لبيدٍ » قال :

– [كان أزواج النبىِّ « ﷺ » يحفظْن من حديث النبىّ « ﷺ » كثيرًا ، ولا مثْلَ لِـ « عائشة » و« أُم سَلَمَةَ » ، وكانَتْ « عائشة » تُفْتى فى عَهْد « عمر » و« عُثْمان » إلى أن ماتَتْ – يَرْحمها الله – .

وكان الأكابر من أصحاب رسُول الله «ﷺ» و« عمر » و« عثمان » بعده يرسلان إليْها فيسْألانها عن السُّنَن](٥٨)

ومن الأمثلة على ذلك ، أنه لما اختلَفَ الأنصار والمهاجرون فى وجُوب الغُسْل عند مخالطة الرجل زَوْجَته دُون إنْزالٍ ، [**قال أَبُو موسى : فأنا أشفيكُم من ذلك ..**

فَقُمْتُ فآستأْذَنْتُ على « عائشة » فأذِن لى ؛ فَقُلْتُ لها : ياأُمّ المؤمنين – أو يا أُمّاه – إنى أُريدُ أنْ أَسْألَكِ عن شَىْءٍ ، وإنّى أَسْتحييك ، فقالت : لا

---

(٥٨) الطبقات (٢/٣٧٥)

تستحيي أن تَسْأَلنى عمّا كُنْتَ سائلًا عَنْه أُمّك التى وَلَدتْك ، فإنمّا أنا أُمُّك ....

قُلْتُ : فما يُوجِبُ الْغُسْل ؟

قالت : على الخبير سقطْتَ ،

قال رسُول الله « ﷺ » : [إذا جَلَسَ بَيْن شُعَبِها الأرْبَع ، ومسَّ الْخِتانُ الختانَ ، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْل)] .

وكان « عُمَر » – رضى الله عنه – يرى أن الْمُحْرِم لا يَنْبَغى أَنْ يُشَمَّ مِنْه ريحُ الطِّيب ، ويقول : لَأَن أجد من المحْرم ريح الْقَطْران أحبّ إلَيَّ من أَنْ أَجِدَ ريح الطِّيب ، فلمّا سَمِعَتْ « عائشة » آسْتَدْرَكَتْ عليه قائلةً :

– [**طَيَّبتُ النبىَّ « ﷺ » فَأَصْبَحَ وإنّ وَبِيصَ المسْك (أَثَرَهُ) فى مفارِقه**][59]

وأَخْرَج الشيْخان عَنْها :

– [**طيَّبْتُ رسُول الله « ﷺ » لحرمِهِ حين أَحْرَم ، ولحلّه حين حَلَّ ، قَبْل أَنْ يَطُوف الْبَيْت**][60]

وكان « الفاروق » – رضى الله عنه – شديد الاهتمام بأُمهّات المؤمنين ، كثير التفقّد لأحْوالِهِنّ ، شهدت له بذلك السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها ــ فقالتْ :

– [**كان « عُمر بن الخطاب » يُرْسِلُ إليْنا بأَحْظائنا[61] حتى من الرؤوس والأكارِع ، وكان عِنْده صحافٌ تِسْع فلا تكون فاكهة ولا طُرَيْفَةٌ إلّا جَعَلَ منها فى تلْك الصِّحاف ، فبَعَثَ بها إلى أَزْواج النبى « ﷺ »**]

ولمّا قسم « خَيْبر » خَيَّر أَزْواج النبىّ « ﷺ » بَيْن أَنْ يَقْطَعَ لهُنّ من الْأَرْض أو يَضْمَنَ لهُنَّ المائة وسْقٍ كُلّ عام ؛ وكانت « عائشة » و« حفْصة » مِمَّنْ اخْتار الْأَوْسُق .

---

(٥٩) البيهقى .

(٦٠) الإصابة .

(٦١) حصصنا .

وقد بَلَغ من شدَّة اهتمامِهِ بِهِنّ وحرْصه عليْهن وتعظيمه لمقامهنّ **أَنَّهُنَّ** لما استَأْذَنَّه بالحجّ أرْسَل معهُنّ «عثمان بن عفان» و« عبد الرحمن بن عوْف » ، وأَمَرَهُما [**أَنْ يسير أحدهما بَيْن أيديهنَّ والآخر خَلْفَهُنَّ ولا يُسايرهُنَّ أَحَد ، فإذا نَزَلْن فَأَنْزِلُوهُنَّ شِعْبًا ثم كونا على باب الشِّعْب ، لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْهِنَّ أَحد**] ثم أَمَرَهُما إذا طُفْنَ فى البيْت أَلَّا يَطُوف معهُنَّ أحدٌ إلا النِّساء .

فى عَهْد « عثمان بن عفَّان »

ــ رضى الله عنه ــ

ولم يكُن « عثمان » – رضى الله عنه – بأقلّ من « الفاروق » عناية بأُمَّهات المؤمنين ، ورعايةً لهُنَّ ، واهتمامًا بشؤونهنَّ ، وحجَّ بأُمّهاتِ المؤمنين ، فَصَنَعَ بهنَّ كما صَنَعَ « عُمَر » فكان « عبد الرحمن بن عوْفٍ » فى مَوْضِعِه ، وجَعَلَ فى مَوْضع نَفْسه « سعيد بن زيْد » – رضى الله عنه – ؛

وكانَتْ – رضى الله عنها – أَعْرَف الناس بفضائل « عُثْمان » ومناقِبه ومكانته عند رسُول الله « ﷺ » ، وقد انْفَرَدَتْ برواية عدّة أحاديث فى هذا الصَّدَد ، ممّا يَدلُّ دلالةً واضحة وقاطعة على احترامِهِ وتَقْديره .

من هذه الأحاديث :

أن النبيَّ « ﷺ » كان يَستَحى من « عثمان » وأنَّه إذا دَخَلَ عَلَيْه جلس وسوّى ثيابَهُ ، وقال لِـ « عائشة » وقد سألته « ﷺ » عن ذلك :
– [ألا أَسْتَحى مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحى مِنْه الملائكة](٦٢)

ومنها ، قَوْلها :
– [دَخَلَ عليَّ رسُولُ الله « ﷺ » فرأى لحْمًا ، فقال : مَنْ بَعَثَ هذا ؟ قُلْتُ : « عثمان » ، قالت : فَرأَيْتُ رسُولَ الله « ﷺ » رافعًا يَدَيْه يَدْعو لِـ « عثمان »](٦٣)

وحين سَمِعَتْ بعض الناس ينالُ من «عثمان» غَضِبَتْ غَضَبًا شديداً وقالت :
– لَعَنَ الله مَنْ لَعَنَهُ ، .. لَعَنَ اللهُ من لَعَنه ... ، [لقد رَأَيْتُ رسُول الله « ﷺ » وهُوَ مُسنِدٌ فَخِذَهُ إلى « عُثْمان » وإنى لَأَمْسَحُ الْعَرَق عن جبين

---

(٦٢) مسلم .   (٦٣) البزّار .

رسُول الله « ﷺ » وإن الوَحْي يَنْزل عليْه] ولقد زَوَّجَهُ ابنتيْه إحْداهُما بَعْدَ الأُخرى ، وإنّه لَيَقُول : [أُكْتُب عُثيم] .

وقالت :

– ما كان الله لِيُنْزِلَ عَبْدًا من نَبِيِّه تلْك المَنْزلة إلّا عَبْدًا كريم عَلَيْه .

ومِمّا هُوَ جديرٌ بالذّكْر أنها – رضى الله عنها – هى الّتى رَوَتْ حديث وصيَّة النبيِّ « ﷺ » لعثمان ، لكيلا يتنازل عن الخلافة إنْ وَلِيَها ، **مهما طَلَبُوا مِنْهُ ذلك .**

فقالت : قال رسُول الله « ﷺ » :

– [يا« عثمان » إنْ وَلّاك الله هذا الأَمْر يَوْمًا ، فأرادَكَ المنافِقُون على أَنْ تَخْلَعَ قميصَكَ الذى قَمَّصَكَ الله ، فلا تَخْلَعْهُ] يقول ذلك ثلاث مرات .

قال « النُّعْمان بن بشير » ، فَقُلْتُ لِـ « عائشة » : مَنَعَكِ أَنْ تُعْلمى الناس بهذا ؟ قالَتْ : أُنْسيتُه ...[٦٤]

كما أنّها هى التى رَوَتْ :

– [أن النبىَّ « ﷺ« قال فى مَرَضِه : وَدِدْتُ أَنّ عِنْدى بَعْض أصحابى ... قُلْنا : يارسُول الله ألا نَدْعُو لَكَ « أبا بكْر »؟ فَسَكَتَ ، قُلْنا : أَلا نَدْعُو لَكَ « عُمَر » ؟ فَسَكَتَ ، قُلنا : ألا نَدْعُو لَكَ « عُثْمان » ؟ قال : نَعَم ، فجاءَ ، فَخَلا بِهِ ، فَجَعَلَ النبىُّ « ﷺ » يُكلِّمه وَوَجْه « عثمان » يَتَغَيَّر ...]

قال « قَيْس بن حازم » – راوى الحديث عن « عائشة » – :

– فَحَدَّثنى « أبو سَهْلَةَ » موْلى « عثمان » ، أَنّ « عثمان بن عفان » قال « يوْم الدّار » :

– [إنّ رسُول الله « ﷺ » عَهِدَ إلَيَّ عَهْدًا ، فَأَنا صائر إِلَيْه – وفى رواية : فأنا صابرٌ عليه –]

قال « قَيْس » :

– فكانوا يروْنَهُ ذلك الْيَوْم .

---

(٦٤) احمد والترمذى وابن ماجه والترمذى .

وظَلَّتْ – رضى الله عنها – على مَوَدَّتها لِـ « عثمان » وتَقْديرها لهُ إلى أَنْ قُتِلَ – رضى الله عنه – شهيدًا ، فكانَتْ أَوّل مَنْ طالَبَ بِدَمِهِ والاقْتصاص من قَتَلَتِهِ والثائرين عليْه ...

وظَلَّ هو أَيْضًا على آحْترامِهِ لها ، وبَقيَّة أُمّهات المؤمنين ، ورعايتِهنَّ وتكريمِهنَّ إلى آخر حياتِهِ .

وَنَحْنُ لا يَعْنينا أَمْر الدُّخول فى رَدّ الاتهامات التى وُجِّهَتْ لها – رضى الله عنها – بأنها قد ساءَت علاقتها بـ « عثمان » فكانَتْ مِمَّنْ حَرَّض عَلَيْه ... ، فإنّ فيما رَوْيناهُ عَنْها خَيْر رَدٍّ وأَصدقه .(٦٥)

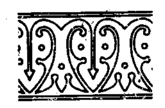

(٦٥) كتاب « عائشة والسياسة » لِـ « سعيد الأفغانى » فقد عَقَد فصْلًا فى كتابه تحْت عُنوان : كيْف ساءت العلاقات بينهما فى خلافته وقد استند إلى روايات باطلة واهية .

بين « عائشة » و« علىٍّ »
ــ رضى الله عنهما ــ

إن من يفترض رواسب العداوة والكراهية فى قَلْبَي الإنسانيْن الكبيريْن « علىّ » و« عائشة » ... ! إنما يتنكّب طريق الحقِّ والصِّدْق ؛ خصوصًا أولئك الّذين يتخّذون من موقف « علىٍّ » يَوْم حادث الإفْك مُرْتكزًا ... ، ومنطلقًا .

ذٰلكَ أن « عائشة » ــ رضى الله عنها ــ ، ــ عند التحقيق ــ قد نالَها من « حسّان بن ثابتٍ » -- رضى الله عنه - أكثر مما نالها من « علىٍّ » ، وكان من الخائضين فى الحادث ... ، ومع ذلك لم تَحْقِد على « حسّانِ » ، بسبب قلْبها الكبير ، وأخلاقها العالية المتَميزَة ...

ثم إنها كانَتْ تنهى عن سبِّه والإساءَةِ إليْه وتَحْترمه .

روى « عُروة بن الزبير » رضى الله عنه - أنّه قال :

- [**ذَهَبْتُ أَسُبُّ « حسّان » عند « عائشة » فقالت : لا تسبّه فإنّه كان يُنافح عن رسُول الله « ﷺ »]**[66]

وروى « قتادة » عنها - رضى الله عنها - :

- [**لا تقولُوا لِـ « حسّان » إلّا خيْرًا ، فإنّه كان يُهاجى عن النبىّ « ﷺ » ، ويهْجو المشركين]**[67]

[وكان « حسّان » إذا دَخل على « عائشة » أَلْقَتْ له وسادةً فَجلَسَ عليْها][68]

---

(٦٦) البخارى .

(٦٧) عبد الرزاق (المصنّف) .

(٦٨) عبد الرزاق (المصنّف) .

فَهَلْ يعقل أَنْ تَحْقد أم المؤمنين «عائشة» على طَرَفٍ فى الموضوع ، هُو « علىّ » – رضى الله عنه – ، وتتغاضى عن طَرَفٍ آخر هو « حسّان » !!!؟؟

وهى ... التى رَوَتْ كثيرًا من الأحاديث فى فَضْل « علىٍّ » – كرَّم الله وَجْهَه – ، لأنها كانَتْ تعْرف مكانته فى الإسلام ، وعند رسُول الله « ﷺ » تعرف قرابته ومصاهرَته وجهاده وشجاعته وسابقته !!!

سُئِلَتْ – رضى الله عنها – :

[**أىُّ الناس كان أحب إلى رسُول الله « ﷺ » ؟ فقالت : فاطمة ، فقيل : من الرّجال ؟ قالت : زَوْجُها ... إن كان ما عَلِمْتُ صوّامًا قوّامًا**][69]

ورَوَتْ أيضًا ، فقالت :

[**خَرَجَ النبىُّ « ﷺ » غداةً وعَلَيْه مِرْط مرحَّل[70] من شعر أَسْود ، فجاء « الحسنُ بن على » فَأَدْخله ، ثم جاء « الحسين » فَدَخل معه ، ثم جاءَتْ « فاطمة » فَأَدْخلها ، ثم جاء « علىّ » فَأَدْخَلَه ، ثم قال : ﴿ إنّما يريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكم الرِّجْس أَهْل البيْت ويُطهرِّكم تَطْهيرًا ﴾**[71]

وهى التى كانَتْ تُحيل بَعْض سائليها الْمُسْتَفْتين على « علىٍّ » ثِقَةً مِنْها بعِلْمِه وأمانَتِهِ وفِقْهِهِ .

كما فَعَلَتْ مع « شُرَيْح بن هانىء » عِنْدما سألها عن المسْح على الْخُفَّيْن ، فقالت :

– [**عليك بـ « ابن أبى طالب » فَسَلْهُ فإنه كان يُسافر مع رسُول الله « ﷺ »**] .

وإنّ من يَتَتَبّع الروايات والنُّقول الّتى تتحدَّث عن عداوةٍ وخصومةٍ بَيْن

---

(٦٩) الترمذى وقال حديث حسن .

(٧٠) ثوب مزين برسوم رحال الإبل

(٧١) مسلم – سورة الأحزاب ٣٣

«عائشة» و«عليٍّ» — رضى الله عنهما — نَجدُ فى أَسانيدها ضَعْفًا ظاهراً ، من حيْث رجالها ؛ فما يَجْعلنا نزدادُ آعتقادًا راسخًا بأَنّ كِلَيْهما – رضى الله عنهما – كانا فوْق هذا المستوى بكثير ...

ولعلَّ مَوْقف الوداع الذى تَمَّ لِـ « عائشة » بعد موقعة « الجمل » ، تريد العوْدَةَ من « البصْرة » إلى « المدينة » ، خَيرْ دليل على ما نردُّ بِهِ تلْك الافتراءات ، التى ما تزال تلْعب دَوْرها فى العصبيّات المذهبية إلى يَوْمنا هذا .

لقد جَهَّزها «على» — رضى الله عَنْه — بكُلّ ما ينبغى لها من مركب وزادٍ ومتاع ، وأَخْرَجَ معها كلّ من نجا مِمّنْ خَرَج معها ، إلّا من أَحبّ المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساءِ أَهْل « البصْرة » المعروفات ، وقال لأَخيها « محمد بن أبى بكر » :

– تجهَّزْ يا« محمد » فبلّغْها ،

فلمّا كان اليْوم الذى ترتحل فيه ، جاءَها حتى وقف لها ، وحَضرَ الناس ، فخرجت على الناس وَوَدّعوها ، وودَّعتْهم ، وقالتْ :

[يابنيَّ تعتَّب بعضُنا على بَعْضٍ استبْطاءً واستزادةً ، فلا يَعْتَدَنَّ أحدٌ منكم على أَحَدٍ بشيْءٍ بَلَغَهُ من ذلك ... ، إنّه والله ما كان بَيْنى وبَيْن « علىٍّ » فى القديم إلّا ما يكون بَيْن المرأة وأَحْمائها ، وإنّه عِنْدى على مَعْتبتى من الأخيار .. !!

وقال « علىٌّ » :

– صَدَقَتْ والله وبرَّتْ ، ما كان بيْنى وبَيْنها إلّا ذلك ، وإنها لزوْجةُ نَبِيِّكُم « ﷺ » فى الدنيا والآخرة] .

« عائشة » و « فاطمة »
ـ رضى الله عنهما ـ

وكانت السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – على علاقة حسنة ومودَّة عالية مع السيِّدة « فاطمة » – رضى الله عنها – ، يدُلُّ على ذلك ثناء « عائشة » على « فاطمة » فى الحديث التالى :

قالت « عائشة » :

– [اجْتَمَعَ نساءُ النبىِّ « ﷺ » فلم يُغادِرْ منهنّ امرأةٌ ، فجاءَتْ « فاطمةُ » تمْشى ، كأن مشْيتها مشية رسُول « ﷺ » ، فقال :

– مرْحبًا بابْنتى ، فأجْلسها عنيمينه – أَوْ عَنْ شماله – ، ثم إنّه أَسَرَّ إليْها حديثًا ، فبكتْ « فاطمة » ، ثم إنّه سارَّها فضحكتْ – أَيْضًا – ،

فقُلْتُ لها : ما يُبْكيك ؟ فقالت : ما كُنْتُ لِأُفْشى سرَّ رسُول الله « ﷺ » ، فَقُلْتُ : ما رَأَيْتُ كاليَوْم فرَحًا أَقْرَب من حُزْنٍ ، فَقُلْتُ لها حين بكتْ :

– أَخَصَّك رسُولُ الله « ﷺ » بحديثِهِ دوننا ثم تَبْكين ، وسألتُها عمّا قال : فقالت : ماكُنْتُ لِأُفشى سرَّ رسُول الله « ﷺ » ؛ حتى إذا قُبضَ سَأَلْتُها فقالت : إنّه كان حَدَّثنى :

أَنَّ جبْريل كان يُعارضه بالقرآن كل عام مرَّةً ، وأَنَّه عارضَهُ به فى العام مرتيْن ، ولا أرانى إلّا قد حَضر أجلى ، وإنّك أوّل أَهْلى لحوقًا بى ، ونِعْم السَّلَفُ أنا لَكِ .

فبكَيْتُ لذلك ، ثم إنّه سارّنى فقال :

ألا تَرْضَيْنَ أن تكونى سيِّدة نساء المؤْمنين (أو سيِّدة نساء هذه الأُمَّة)

فضحِكْتُ لذلك][٧٢]

فَلَوْلا أن « عائشة » – رضى الله عنها – حدَّثَتْ هذا الحديث لما تمكّن جُمهور العلماء من القَوْل بفضل « فاطمة » – رضى الله عنها – على جميع النساء ؛ نَظرًا لقول النبى « ﷺ » فى حديثٍ آخر :

– [حَسْبُك من نساء المؤمنين : « مريم بنت عِمْران » و« خديجة بنت خُوَيْلد » و« فاطمة بنت محمد » و« آسية » امرأة « فِرْعَوْن » ، وفَضْل « عائشة » على النساء كَفَضْل الثَّريد على سائر الطعام][٧٣]

والمتأمّل لا يستطيع أن يَجْزم بِفضْل واحِدَةٍ مِنّهنَّ على الأُخْريات ، وقد جعلتنا السيِّدة « عائشة » من خلال حديثها نجزم بِفَضْل السيدة « **فاطمةَ** » عَلَيْهنَّ جميعًا !!!

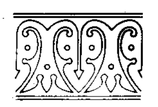

(٧٢) مسلم .

(٧٣) متفق عليه من حديث « أنس » .

كلمة فى يَوْم « الجمل »

كلمةٌ هادئة عاقلة ... ، لا متشنجّة ولا مُنْفعِلة ... ، تَجْمع ولا تُفرِّق ، تُوحّد ولا تُبدَدُّ ، تتعالى فَوْق الجراح والعصبيَّات والمذهبيَّات ، وتتجاوَزُ الأشخاص والرُّموز ، والأحْداث والأزمان ، لتصِلَ العقْل بالعقْل ، والقلْب بالْقَلْب ثُمّ تَصْهَرُ كل ذلك فى بَوْتقة الرّسالة المحمديَّة ...

كلمة واعية تضىء الطريق لِنَعْرف العدوّ من الصَّديق ... ، خُصوصًا ونَحْنُ المسلمين فى معركةٍ دائمة قائمة ، هى معركة الحقّ مع الباطل ... ،

تُجْمِعُ روايات المصادر التاريخية على أنّ المفاوضات بَيْن « علىٍّ » وبَيْن « طلحة » و« الزُّبَيْر » و« عائشة » من جهة أُخرى كادَتْ تُعْطى ثمارها فى الصُّلْح ... والسَّلام ....

ومن الْبَديهى أنْ لا تَرْضى عن ذلك الفئة المتضرِّرة ... ، فَمَنْ هىَ ؟ إنها نَفْس الفئة ، بأشخاصها وأعْيانها الّذين وفدوا من « مصْر » ثائرين على « عثمان » - رضى الله عنه - وقد شَحَنَهُم « آبن السَّوْداء »[٧٤] بالحقْد والكراهية ... ، فكان يَوْم الدَّار واستشهاد « ذى النورَيْن » فى ملْحَمةٍ تاريخيَّة ، كانَتْ معْولًا هدّامًا فى بناء الإسلام السياسىّ .

وكانَ « محمد بن أبى بكْر » من رؤوس تِلْك الفئة الثائرة ، وقدْ كان فى جَيْش « علىٍّ » - رضى الله عنه - !؟

وَمَعَ فَجْر اللَّيْلة الموعودة التى كان سَيَتِمُّ إعلانُ الصُّلْح والسَّلام على أثرها ، آنْفجر الموقف ،وأنْشبَتِ « السَّبَئيةُ » القتال ... وكان ما كان .

إذًا .. فالْفِتْنَةُ الكُبرى أخذتْ دَوْرها وموقعها وسبيلها ، وكانت دماء المسلمين وقودها !!

(٧٤) « عبد الله بن سبأ » اليهودى الأُصْل والمنشأ والهدف .

فى عَهْد « معاوية بن أبى سُفْيان »

بَعْد « الجمل » ومأساته ، وبعْد استشهاد « علىٍّ » – كرَّم اللهُ وَجْهَهُ – ... ، لَزِمَتْ « عائشة » بَيْتها ، تتألَّق فى مَيْدانِ الْعِلْمِ والفقْه والرواية ، ويحجُّ إلَيْها من كُلّ حدب وصوْب ، ولقد أضحَتْ مَرْجع الناس فى هذا الصَّدَد .

وحين تولى « معاوية » الخلافة حاوَل أنْ يَصِلَ بَيْنه وبَيْن أُمّ المؤمنين ، يَسْتَرْضيها ، ويسْتَرْشدها ، ولم تكنْ – رضى الله عنها – لتوافق على أكثر تصرُّفاتِهِ وأَعْمالِهِ ، خاصَّة ما يتعلّق منها بالتجاوزات غير الشرعيّة ، ولقد أرسَلَ لها مرَّة :

– اكتبى إلىَّ كتابًا ولا تُكْثرى علىَّ ...

فكَتَبَتْ تقول :

– سلامٌ عَلَيْك ، أما بَعْد : فإنى سمعْتُ رسُول الله « ﷺ » يقول :

[**مَنِ ٱلْتَمَس رضاء الله بسخط الناس ، كفاهُ الله مؤونَةَ الناس ، ومن ٱلْتَمَس رضاء الناس بسخط الله ، وَكَلَهُ الله إلى الناس**]

والسلامُ عليك .(٧٥)

(٧٥) مُسْند « عائشة » .

وفاتها

ـ رضى الله عنها ـ

وفى شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة والخمسين للهجْرة ، مَرِضَتْ السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – مَرَض الوفاة ، فأوْصَتْ :

– ألّا تَتْبعُوا سريرى بنارٍ ، ولا تَجْعَلُوا تحتى قطيفةً حَمْراء .

ولما اشْتَدَّ المرض عليها ، استأذنها « عبد الله بن عباس » – رضى الله عنه – لِعِيادتها ، فأكبَّ عليها ابن أخيها « عبد الله بن عبد الرحمن » فقال :

– هذا « عبد الله بن عباس » يَسْتَأْذِنُ عَلَيْك ...

فعرفَتْ أنّهُ يريدُ أنْ يُثْنِى عليها ويُزَكيها ، فقالت :

– دعْنى من « ابن عباس » فإنّه لا حاجة لى بِهِ ولا بِتزْكيته ...

فقال :

– ياأُمتاه ... إنّ « ابن عباسٍ » من صالحى بيْتك يُسلِّم عليْك ويُوَدّعك .

فقالت :

– فَأْذَنْ له إن شِئْتَ .

فلمّا أن سلَّم وَجَلَس قال : أَبْسرى ، قالت : بمَ ؟ قال : ما بَيْنَكِ وبَيْن أن تلْقى محمدًا « صلى الله عليه وسلم » والأحبّة إلّا أنْ تَخْرج الروح من الجسد ، كُنْتِ أَحَبَّ نساء رسُول الله « صلى الله عليه وسلم » إلى رسُول الله « صلى الله عليه وسلم »، ولم يكن رسُول الله يُحِبُّ إلّا طيِّبًا ، وسقطت قلادتك ليلة « الأبْواء » ، فأصْبَحَ رسُول الله ليطْلبها حين يصبح فى المنْزل ، فَأَصْبَح الناس ليس معهم ماء ، فَأَنْزل الله أن تيمّمُوا صعيدًا طيِّبًا ، فكان ذلك من سببك ، وما أذن الله لهذه الأمة من الرُّخْصة ، وأَنْزل الله براءتك من فوق سَبْع سماوات جاء بها الروح الأمين ، فأَصْبَحَ ليس مَسْجد من مساجد الله يُذْكر فيه إلّا هى تُتْلى فيه آناء اللّيْل والنهار ...

فقالت :

-- دعْنى مِنْك يا« ابْن عباس » ، فوالذى نَفْسى بيده لَوَدِدْت أنى كُنْتُ نَسْيًا مَنْسيًا .

وكانَتْ وفاتُها – رضى الله عنها – ليْلة الثلاثاء لسبْعٍ عشرة من شهر رمضانِ ، ودُفِنَتْ من ليْلتها بعد صلاة الوتْر ، وهى يومئذٍ بنت ستٍّ وستين سنة ،

وصلّى عليها « أبو هريرة » -- رضى الله عنه – فٱجْتَمَعَ الناس ، ونزل أَهْل العوالى وحَضروا ، فلَمْ تُر ليْلة أكْثر ناسًا منها ، ونزل فى قَبْرها « عروة بن الزبير » و« القاسم بن محمد بن أبى بكْر » و« عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى بكْر » و« عبد الله بن عبد الرحمن » .

ودُفِنَتْ بالبقيع .

رضى الله عنها وأَرْضاها ، وأَكْرِم فى الجنّة نُزُلها ومَثْواها .

الفصْل الخامس

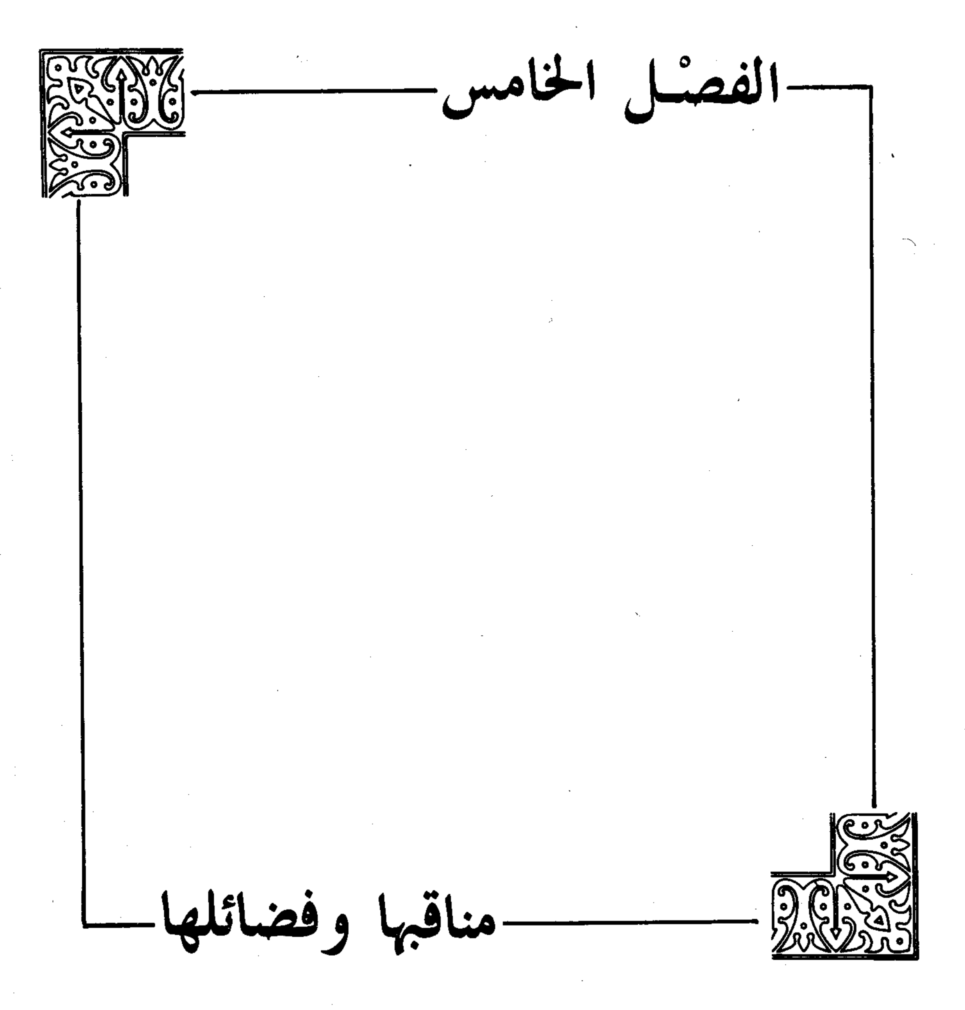

مناقبها وفضائلها

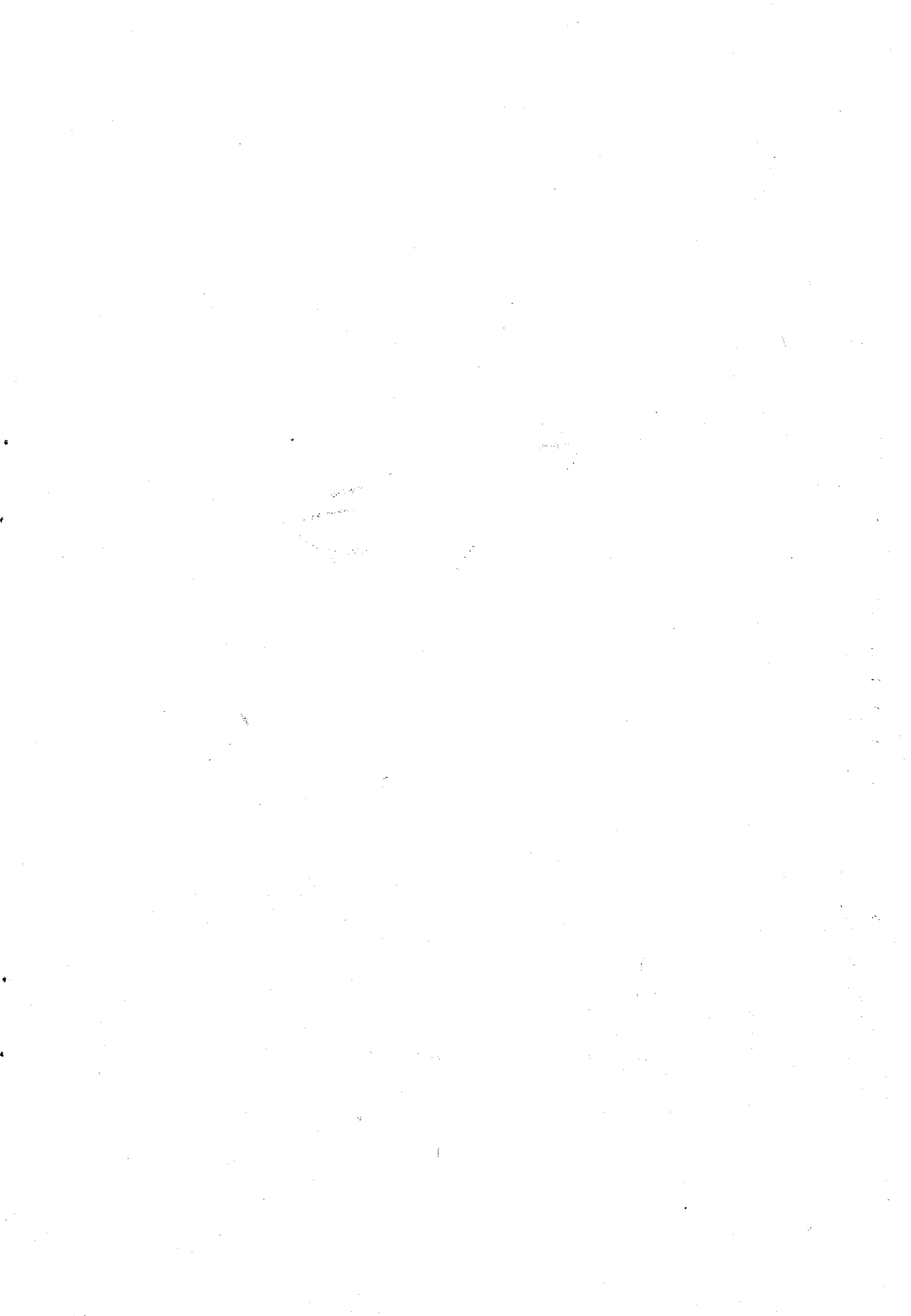

مناقبها وفضائلها

زُهْدُها

وصف « أبو نعيم » فى « الْحُلية » السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – فقال :

– **(كانت للدُّنيا قالية ، وعن سرورها لاهية ، وعلى فقْد أليفها باكية) .**

ولقد أَحبَّت وعشقت الحياة التى عاشتْها مع رسُول الله « ﷺ » ، على أَسْمى ما يكونُ من الزُّهْد ، وعلى أشد ما يكون الشَّظَف ، وأطاعت بكل أمانةٍ وصِدْق وصيَّة رسُول الله « ﷺ » :

– **[إذا أَرَدْت اللحوق بى فيكْفيك من الدُّنْيا كزادِ الراكب ، وإيَّاك ومجالسة الأَغنياء ، ولا تَسْتَخْلقِي ثَوْبًا حتى ترقعيه] .**

قال « عروة بن الزبير » :

– **فما كانتْ « عائشة » تَستَجدّ ثَوْبًا حتى تَرْقَعَ ثوبها وتُنكِّسه .**(٧٦)

عبـادتها

ولقد تأثّرت السيدة – رضى الله عنها – بعبادة النبىّ « ﷺ » ومنْهجه فيها ، إذ كانت أَلْصق الناس برسُول الله « ﷺ » ، وأكثرهم اطلاعًا على عبادته ، وقد نَقَلَتْ أحاديث كثيرة رُويت عنها صُورة كاملةً لمنهجيته – عليه السلام – فى خصوصيَّة عبادته .

وأبرز سمةٍ فى تلْك العبادة هى المداومة دون انقطاع ، سُئلت – رضى الله عنها – عن عبادتِهِ « عليه الصلاة والسلام » فقالت :

---

(٧٦) أخرجه الترمذى .

- [**كان عَمَله دِيمَةً ، وأيُّكم يستطيع ما كان رسُول الله « ﷺ » يستطيع ، وكان آل محمد - « ﷺ » - إذا عملُوا عملًا أثْبَتُوه**][77]

وكانت صلاة اللَّيْل أحبَّ النوافل إلى السيِّدة « عائشة » - رضى الله عنها - ، وكانت لا تَدَعها وتَنْصح بالمداومة عليها .

أخْرَج الإمام « أحمد » عن « عبد الله بن قيس » قال :
- [**قالت لى « عائشة » : لا تَدَع قيام اللَّيْل ، فإنّ رسُول الله « ﷺ » كان لا يَدَعه ، وكان إذا مَرِضَ أوْ كَسِلَ صلَّى قاعِدًا**][78]

وكانت تُطيل الصلاة ...

فقد أخرج « أحمد » - أَيْضًا - عن « عبد الله بن أبى موسى » فقال :
- [**أرْسلنى « مدرك » - أو ابن مدرك - إلى « عائشة » أسألها عن أشياء .**
قال : فأتَيْتها ، فإذا هى تُصَلِّى الضُّحى ، فقُلْتُ : أَقْعُد حتّى تفرغ ، فقالوا ! هَيْهات !!][79]

وكانت كثيرة الدُّعاء والتضرُّع فى صلاة النافلة ، خاصّة إذا مَرَّت بآية وعيد ؛ كقوْله تعالى : ﴿ **فَمَنَّ الله عليْنا ووقانا عذاب السَّموم** ﴾
فقد سُمِعَتْ تكرر وتبكى بَعْد قراءتها لها :
- [**مُنَّ علىَّ وَقِنى عذاب السَّمُوم**][80]

وكانت تَسْرُدُ الصَّوْم ،
أخرج « ابن سَعْد » عن « القاسم » : [**أنها كانت تَصُوم الدَهر ، وتَتَحمَّل الصَّوْم فى أيّام الحرّ الشديد مهما بلغ منها الجهد والتَّعب**] .

وأخرج « أحمد » فى مُسْنده : [**أن « عبد الرحمن بن أبى بكْر » دَخَلَ على « عائشة » يوْم عَرَفة ، وهى صائمة ، والماء يُرَشّ عليها ، فقال لها « عبد الرحمن» : أَفْطِرى ، فقالت : أُفطِرُ وقد سَمِعْتُ رسُول الله «ﷺ» يقول :**

---

(٧٧) متفق عليه .
(٧٨) المسند (٦/٢٤٩)
(٧٩) المسند (٦/١٢٥)
(٨٠) الحلْية .

– **إن صَوْم يَوْم عَرَفةَ يُكفِّر العام الذى قَبْلَهُ**][81]

وسألت السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – رسُول الله « ﷺ » :
– [**ترى الجهاد أفْضل العمل ... أفلا نُجاهد ؟ قال : لا ، ولكن أفْضل الجهاد حجٌّ مَبْرور**][82]

وعليه ، فإن السيِّدة – رضى الله عنها – قد حجَّت واعتمرت أكثر من مَرَّة ، فى حياته « ﷺ » – معه – ، وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى .

تصدّقهـــا

لقد قيل : (إن الزُّهْد يَسْتَدْعى خُلُوَّ القَلْب مِمّا خَلتْ منه الْيدُ) .
و« عائشة » – رضى الله عنها – كانت خالية القَلْب عمّا فى يدها ، فضْلًا عمّا خَلَتْ منه يدها ، وقد بلغت بهذا أعلى درجات الجود والسّخاء .

ولم يكن ليسْتَقِرَّ فى يَدها دِرْهم ولا دينار !!!

كيف لا ...

وهى التى رَوَتْ عن رسُول الله « ﷺ » قوْله :
– [**اتّقُوا النّار ولوْ بشقّ تَمْرَة**][83]

وحدَّثت فقالت :
– **جاءتْنى امرأة معها ابنتان تَسْأَلني ، فلم تجد عندى غَيْر تمْرةٍ واحدةٍ فأعطيْتُها ، فقَسَمتها بَيْن ابْنَتَيْها ، ثم قَامَتْ فخرجت ، فَدَخلَ النبىُّ « ﷺ » فقال :**
– **مَنْ يلى من هذه البنات شيئًا فَأَحْسَنَ إليهنَّ كُنَّ لهُ ستْرًا من النّار**][84]

وأهدى لها « معاوية » ثيابًا وَوَرِقًا وأشياء تُوضَعُ فى اسْطوانها ، فلما خرجت « عائشة » نَظَرت إليه فبكتْ ، ثم قالت :
– [**لكنّ رسُول الله « ﷺ » لم يكن يجد هذا . !!**]

(٨١) الطبرانى فى الأوسط .
(٨٢) البخارى .
(٨٣) رواه أحمد .
(٨٤) متفق عليه .

ثم فرَّقته ولم يَبْق منه شئ[٨٥]

وكثيرًا ما رُئيت – رضى الله عنها – ترْقعُ ثَوْبها ،

قال « عُرْوة » :

– [لقد رأيْتُ « عائشة » – رضى الله عنها – تقسم سبْعين ألْفًا ، وإنّها لَترْقَعُ جَيْبَ دِرْعها ، فإذا قيل لها : ألَيْس قد أوْسَعَ الله عَلَيْك ؟! قالت : إنَّهُ لا جديد لِمَنْ لا خَلِقَ له][٨٦]

وكانت – رضى الله عنها – تتصدَّق بالمال وهى صائمَة وتنسى نفسها ، ولا تُمْسك شيْئًا لإفطارها ...

قال « عُرْوة » :

– [بَعَثَ « معاوية » إلى « عائشة » – رضى الله عنها – بمائة ألْف ، فوالله ما غابت الشمْس عن ذلك الْيَوْم حتى فَرَّقتها ، قالت مَوْلاةٌ لها : لو اشتَرَيْتِ لنا من هذه الدراهم بدِرْهَمٍ لحْمًا ، فقالت : لوْ قُلْتِ قَبْل أنْ أُفرِّقَها لَفَعَلْتُ][٨٧].

وكانَتْ – رضى الله عنها – تبيع أحيانًا ما تَمْلك لتتصدَّق بثمنِهِ ، حتى قال ابن أُخْتها « **عبد الله بن الزُّبَيْر** » فى بَيْع أو عطاء أعطتْه « **عائشة** » :

– والله لتَنْتهِيَنَّ « عائشة » أوْ لَأُحْجرَنَّ عليْها ...

فقالت : أَهُوَ قال هذا ؟

قالُوا : نَعَم ...

فقالت : هُوَ لله علىَّ نَذْر ألّا أكلِّم « ابن الزَّبيْر » أبَدًا ...

فاستشفَعَ « ابن الزبير » إليْها حين طالت الهجرة ، فقالت : لا والله لا أشفع فيه أبدا ولا أحنث فى نَذْرى .

---

(٨٥) الحلْية .

(٨٦) الحلْية .

(٨٧) الحلْية (٢/٤٧) .

فلما طال ذلك على « ابن الزبير » كلّم « الْمِسْور بن مَخْرمة » و« عبد الرحمن بن عبد الأسْود » وقال لهما : أنشدكما بالله لما أَدْخَلْتُمانى على « عائشة » فإنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتى .

فأقْبل « الْمِسْور بن مخرمة » و« عبد الرحمن » مشتملين بأَرْديتهما ، حتى استأْذنا على « عائشة » ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أَندخل ؟؟ قالت « عائشة » : آدْخُلُوا ... قالُوا : كُلّنا ؟ قالت : نعم ادخلُوا كُلّكم - ولا تَعْلم أن معهما « ابن الزُّبَيْر » ... ، فلمّا دَخلُوا دَخَلَ « ابن الزُّبَيْر » الحجاب فآعْتَنَقَ « عائشة » وطفق يناشدها ويبْكى ، وطفق « الْمِسْور » و« عبد الرحمن » يُناشِدانها إلّا ما كلَّمَتْه وقبلتْ منه ، ويقولان :

- إن النبىّ « ﷺ » نهى عمّا قد عَمِلْتِ من الهجْرة ، فإنّه لا يَحلّ لمسْلِمٍ أن يهجر أخاهُ فوْق ثلاث ليالٍ .

فلمّا أكثروا على « عائشة » من التذكرة والتَّخْريج ، طفقت تذكرهما وتبكى وتقول :

- إنى نَذَرْتُ ، والنَّذر شديد ؛ فلم يزالا بها حتى كلَّمَتْ « ابن الزُّبَيْر » ، وأعْتقت فى نَذْرها ذلك أَرْبعين رَقَبَة .

وكانت تذكر نَذْرها بعد ذلك فتبْكى حتى تبلّ دموعها خمارها][٨٨]

شِدَّة وَرَعهـا

وهو كما قيل : اجتناب الشُّبُهات خوْفًا من الوقوع فى المحَرَّمات ، وهُوَ من ثمار المعرفة لِلّه سُبْحانه ، وكُلّما آزداد العبد معرفةً لربّه وقُرْبًا مِنْه زادتْ خشيته منه وزاد وَرَعه .

ومامن شك فى أن السيِّدة « عائشة » - رضى الله عنها - بما هَيَّأَ الله لها من البيئة الصالحة والنشأة الطيبة ، كانت على مقام رفيع فى المعرفة والخشية والْوَرَع .

(٨٨) البخارى .

ولقد اتّصَفَتْ - رضى الله عنها - بِصِفَةِ الْوَرَع فى جميع مراحل حياتها ، وها هي فى حياة النبى « ﷺ » تَمْنعُ عمَّها من الرضاعة من الدُّخُول عليْها حتى يأتى النبىُّ « ﷺ » ، فيقول لها :

- [**فَلْيلجْ عَلَيْك عمُّك**]

ومع ذلك تَسْتَفْسِر قائلة : إنّما أَرْضَعتْنى المرأة ولم يُرْضِعْنى الرَّجُل !!!

فيعُودُ رسُول الله « ﷺ » ليؤكّد لها :

- [**إنَّهُ عمُّك فَلْيلجْ عَلَيْك**][89]

ولمّا [**طلب منها النبىُّ « ﷺ » أن تمدّ يدها من حُجْرتها إلى المسجد لتناوله الْخُمْرةَ ، قالت : إنى حائض ، فقال « ﷺ » :**

- [**إنّ حَيْضَتَكِ لَيْستْ فى يَدِك**][90]

ومن صُوَر وَرَعها - رضى الله عنها - أنّها مَنَعَتْ إدْخال جاريةٍ صغيرة عليها قائلة :

- [**لاتُدْخلنّها علىَّ إلا أن تَقْطعُوا جلاجلها (أَجْراسها) ، سمعتُ رسُول الله « ﷺ » يقول :**

- (**لا تَدْخُل الملائكة بَيْتًا فيه جَرَس**)][91]

ومن وَرَعها - أيْضًا - أنّها ما كانَتْ تَنْسى أن تُوصى النساء قائلةً :

- [**مُرْنَ أزواجكُنَّ أنْ يستطيبُوا بالماء فإنى أستحييهم ، فإن رسُول الله « ﷺ » كان يَفْعله**][92]

ورَأَتْ أخاها « عبد الرحمن » يتوضَّأ ، فكأنّه أسْرَع ليُدْرك صلاة الجنازة على « سعْد بن أبى وقاص » - رضى الله عنه - ، فقالت له :

- **يا« عَبْد الرحمن » أَسْبغ الوضوء ، فإنى سَمِعْتُ رسُول الله « ﷺ » يَقُول :**

- [**وَيْل للأعقاب من النّار**][93]

---

(٨٩) متفق عليه .

(٩٠) السجادة الصغيرة .

(٩١) أبو داود .

(٩٢) النسائى وأبو داود .

(٩٣) مسلم .

ومن أبْرز صور وَرَعها – رضى الله عنها – ما رَوَتْه عن نفسها بقَوْلها :

– (كُنْتُ أَدْخُلُ البيْتَ الذى دُفن فيه رسُولُ الله « ﷺ » ، وأبى – رضى الله عنه – واضعةً ثَوْبى ، وأقولُ ، إنمّا هُوَ زَوْجى وأبى ، فلمّا دُفِنَ « عُمَر » – رضى الله عَنْه – ، والله ما دَخَلْتُ إلّا مشدودة علىَّ ثيابى حياءً من « عُمَر » – رضى الله عنه –](٩٤)

(٩٤) السِّمْطُ الثمين .

الْفَصْـل السَّادس

(المُعَلِّمة)
مُعَلِّمةُ الرِّجال والأجيال !!!

(المُعَلِّمة)

مُعَلِّمةُ الرِّجال والأجيال !!!

عِلْمُهـا

قال « الحاكم » فى « المستدْرَك » : **إن رُبع أحكام الشريعة نُقِلَتْ عنها .**

وليس فى هذا القول ، أو هذه الشهادة ، أية مبالغة ، على الرَّغم من اتساع الحكْم وشموله .

فقد كان العلْم من أبرز صفات السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – إذْ بَلَغَ عِلْمها ذروة الإحاطة والنُّضْج فى مختلف ما اتَّصل بالدين من قرآنٍ وتفسير وحديث وفقْه .

وكان أكابر الصحابة – رضوان الله عليهم – إذا أُشكل عليهم الأمر فى قضيّةٍ من القضايا يَسْتَفتونها فيجدون عِلْمه عندها ، قال « أبو موسى الأشعرى » :

– (**ما أشكل علينا – أصحاب رسول الله « ﷺ » – حديث قط ، فسألْنا « عائشة » إلّا وَجَدْنا عندها منه عِلْما**) .[٩٥]

وقال « مسْروق بن الأَجْدع » :

– (**رأيْتُ مَشْيَخة أصحاب « محمد » – « ﷺ » يَسْألونها عن الفرائض**)[٩٦]

---

(٩٥) الإجابة .

(٩٦) الإجابة

وحين يشكل على أهل الأَمْصار أمر من الأمور ، يكتبون إلى أصحاب رسُول الله « ﷺ » فى الحجاز ، ويسألونهم عن حُكْم الله فيه ، فكان هؤلاء إذ فاتهم علْم شئْء ، رجعوا إلى عُلماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفِقْهِه مثل « **عبد الله بن عمر** » و« **أبى هريرة** » و« **ابن عباس** » ، وكان مقام السيدة « **عائشة** » بَيْن هؤلاء مقام الأستاذ من تلاميذه ، فكان « عمر بن الخطاب » يحيل عليها كل ما يتعلق بأحكام النساء ، أو بأحْوال النبىِّ « ﷺ » البيتيّة ، لا يُضارعها فى هذا الاختصاص أحدٌ على الإطلاق .

قال « الزهرى » :

– (لو جُمع علْم « عائشة » إلى عِلْم جميع النساء لكان عِلْم « عائشة » أفْضل)

وقد يصل أحيانًا إلى سَمْع « عائشة » عن بعض علماء الصحابة روايات وأحكام على غَيْر وجْهها ، فتصحّح لهم ما أخطئوا فيه ، أَوْ تَبيّن لهم ما خفى عليهم ، حتى اشتهر ذلك عنها ، فصار من شـك فى روايةٍ أتى « عائشة » سائلًا ، وإذا كان بعيدًا كتب إليْها يَسْأَلها .

أخرج « البخارى » و« مسلم » :

– [**أن « زياد بن « أبى سفيان » كتب إلى « عائشة » أن « عبد الله بن عباس » قال : من أَهْدى هَدْيًا حرم عليه ما يحرم على الحاجّ حتى ينحر الهدْى ، وقد بعثْت بهَدْيى فاكتُبى لى بأمْرك .**

قالت « عائشة » :

– **ليس كما قال « ابن عباس » ، أنا فَتَلْتُ قلائد هدْى رسُول الله « ﷺ » بيدى ، ثم قلَّدها رسُول الله « ﷺ » بيدِه ، ثم بعث بها مع أبى ، فلم يحرّم على رسُول الله « ﷺ » شىء أحلّه الله حتى نحر الْهَدْى**]

وأخرج « البيهقى » عن « الزهرى » أنّه قال :

– [**أوّل من كشف العُمَّى عن الناس وبَيّن لهم السُّنّة فى ذلك « عائشة » – رضى الله عنها –**][97]

---

(٩٧) الإجابة .

ومن ذلك أيْضًا، رجوع « أبى هريرة » عمّا كان يرويه عن « الفضْل بن عباس » : أن من أدْرَكه الفجْرُ وهُوَ جُنُب فلا يَصُم ؛ فلما سُئِلَتْ « عائشة » و« أمّ سَلَمَة » قالت :

– [كان النبىّ « ﷺ » يُصْبحُ جُنُبًا من غَيْر حلم ثم يَصُوم] ولمّا أخْبر « أبو هريرة » قال : هُما أعْلَم ، ثم رَدَّ ما كان يَقُول فى ذلك .(٩٨)

ولقد أَلَّف الإمام « بدر الدين الزّرْكشى » كتابًا ذكر فيه كُلّ المسائل التى قيل إن « عائشة » – رضى الله عنها – اسْتَدْركتها على الصحابة ، وسمّاه :

(الإجابة لإيراد ما اسْتَدْركَتْه « عائشة » على الصحابة)

كما كتب العلامة « جلال الدين السُّيُوطى » كتابًا آخر في نَفْس الموضوع وسمّاه : (عَيْن الإصابة فى اسْتِدْراك « عائشة » على الصحابة) .

وهو مختصر لِـ (الإجابة) وتَصْويب لِبَعْض ما وَرَد فيه .

مُعلِّمة العلماء

انْتَشَر عِلْم السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – فى الأمصار والأقطار ، وتناقله الناس في كل مكان ، فيَمَّمَها طلاب العلْم والمعرفة واتَّجهُوا قِبلَ الْحُجْرة المباركة التى أصْبَحَتْ أوَّل مدارس الإسلام – بَعْد مَسْجِدِه « عَلَيْه الصلاة والسلام » فى عَهْده – وأعظمها أثرًا فى تاريخ الفكرْ الإسلامى ، ولقد تَخَرَّج من هذه المدرسة (الجامعة) كبار علماء التابعين وساداتهم ، فكانت « عائشة » – رضى الله عنها – بحقّ : [**معلِّمة العلماء ومؤدّبة الأدباء**] .

وكانت السيِّدة – رضى الله عنها – تَحْتجب عن تلاميذها غَيْر المحارم ، ورُبّما نَبَّهَتْهُم بِتَصفيقها من وراء الحجاب .

قال « مسروق » : (**سَمِعْتُ تصفيقها بيَدَيْها من وراء الحجاب**)(٩٩)

---

(٩٨) صحيح مسلم .
(٩٩) أحمد .

ولقد اتْبَعَتْ فى التعليم والتلقين الأساليب والطرق التربوية الرفيعة ، مُقْتدِيةً برسُول الله « ﷺ » .

أوّل تلك المبادىء هى التّأنّى فى الكلام ، ليتمكّن المستمع من الاستيعاب ، ولقد كانَتْ تُنْكر على من تَسْمعه يُسْرع فى كلامه .

قال « عُرْوة » قالتْ « عائشة » :

– [**ألا يُعْجبك أبو فُلان (تعنى أبا هريرة) جاء فجلس إلى جانب حُجْرتى يحدِّث عن رسُول الله « ﷺ » ، يسمعنى ذلك ، وكُنْتُ أُسبِّح (أُصلِّى) فقام قَبْل أن أَقْضى سبحتى ، ولو أَدْرَكْتُه لرددْت عليه ، إن رسول الله « ﷺ » لم يُكنْ يَسْرد الحديث كَسَرْدِكُم**][100]

وكانت – رضى الله عنها – تلجأ إلى الأسْلُوب الْعِلمى التَّطْبيقى ، فكثيرًا ما كانَتْ تعلِّم تلاميذها وتلميذاتها الأحكام الشرعيّة العملية فتؤديها بنَفْسها أمامهم .

من ذلك تعليمها « سالم سبلان »[101] كيْفيّة الوضوء ، قال فى وَصْف ذلك :

– [**أَرَتْنى «عائشة» كيْف كان رسُولُ الله «ﷺ» يتوضّأ ، فتَمَضْمَضتْ وآسْتَنْثَرتْ ثلاثًا ، وغَسلتْ وجْهها ثلاثًا ، ثم غَسَلَتْ يدها الْيُمْنى ثلاثًا واليُسرى ثلاثًا ، وَوَضَعَتْ يدها فى مقدَّم رَأْسها ثم مَسَحَتْ مَسْحَةً واحدةً إلى مُؤخّرِه ، ثم أَمَرّت يَدَيْها بأُذُنيْها ، ثم مرّتْ على الخدَّيْن ،**

قال « سالم » :

– **كُنْتُ آتيها مُكاتبًا ما تَحْتفى مِنّى ، فَتَجْلس بَيْن يدىَّ وتتحدّث معى ، حتى جئتُها ذات يَوْمٍ فقُلْتُ : ادْعى لى بالْبركة ياأُمَّ المؤمنين ، قالت : وما ذاك ؟ قُلْتُ : أَعْتَقَنى الله ، قالتْ : بارك الله لَكَ ، وأَرْختِ الحجاب دُونى ، فَلَمْ أَرَها بعد ذلك اليوْم**][102]

---

(١٠٠) البخارى .

(١٠١) كان « سالم » عَبْدًا مملوكًا لبعض أقاربها المحارم .

(١٠٢) النسائى .

ولم تكُن – رضى الله عنها – لتتحرَّج فى إجابة السائلين المستفتين عن أى مسألةٍ من مسائل الدِّين ، حتى ولوْ كانَتْ تتَّصل بشؤون الإنسان الخاصة ، تقديرًا منها لمسؤوليتها عن بيان مثل هذه الأحكام التى لم يطّلع عليها أحد سوى نساء النبىّ « ﷺ » .

وكانت – أحيانًا – تشجع المستفْتين الذين يَسْتحْيونَ من السؤال عن مثل هذه الأمور والقضايا ...

قال « عبد الله بن شهاب الخولانى » :

– [كُنْتُ نازلًا على « عائشة » فٱحتلَمْتُ فى ثَوْبى ، فغَمَسْتُهُما فى الماء ، فرأتْنى جارية لِـ « عائشة » فأَخْبرتْها ، فَبَعَثَتْ إلىّ « عائشة » فقالت :
– ما حَمَلَك على ما صَنَعْتَ بثَوْبَيْك ؟ قلتُ : رأيْت ما يرى النائم فى منامِهِ ، قالت : هَلْ رأيْت فيهما شيْئًا ؟ قلتُ ؛ لا ، قالت : فَلَوْ رأيْت شيْئًا غسلْته ، لقد رَأَيْتنى وإنى لأحُكُّه من ثَوْبِ رسُول الله « ﷺ » يابسًا بِظُفْرى][١٠٣]

الأُسْلوب الاستْدْلالى

وكانت – رضى الله عنها – لا تكتفى بتقْرير الْأَحكام إلّا مَشْفوعة بأدلّتها من الكتاب والسُّنَّة ؛ وهذا الْأُسْلوب يُسمّى عند العلماء (الفقه الاستدْلالى)

حدَّثنا « مسروق » أُحَدُ كبار تلامذتها ، فقال :

– [كُنْتُ مُتّكِئًا عند « عائشة » ، فقالت : يا«أبا عائشة» ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّم بواحِدَةٍ منهن فقد أعْظم على الله الْفِرْية ، قلتُ : ما هُنَّ ؟ قالت : من زَعَمَ أن « محمدًا » – « ﷺ » – رأى رَبَّهُ فقد أعظم على الله الْفِرْيَة.

قال : وكُنْت مُتّكئًا فجلسْتُ فقُلْتُ : ياأُمّ المؤمنين ، أَنْظرينى ولا تعجلينى ، أَلَمْ يَقُل الله عَزَّ وجَلَ : ﴿وَلَقَدْ رآهُ بالْأُفُق المبين﴾ ﴿وَلَقَدْ رآهُ نَزْلةً أُخرى﴾ .

فقالت : أمّا أوّل هذه الأُمّة سَأَل عن ذلك رسُول الله « ﷺ » فقال :

---

(١٠٣) مسلم .

إنما هُوَ « جبريل » ، لم أَرَهُ على صورتِهِ التى خُلِقَ عَلَيْها غَيْر هاتَيْن المرتيْن ، رأيْتهُ مُنْهَبطًا من السماء سِادًّا عِظَم خلْقه ما بَيْن السماء والأرض ، فقالت : أَوَ لَمْ تَسْمع أَنّ الله يقول : ﴿ لا تُدْركه الأَبْصار ، وهُوَ يدْرك الأَبْصار وهُوَ اللطيف الخبير ﴾ أَوَ لَمْ تَسْمع أَنّ الله يقول :

﴿ وما كان لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ الله إلّا وَحْيًا أَوْ من وراء حجاب أَوْ يُرْسل رسُولًا فَيُوحى بإذْنِهِ ما يشاء إنّه علىٌّ حكيم ﴾

قالَتْ : ومن زَعَمَ أَنْ رسُول الله « ﷺ » كَتَم شيْئًا من كتاب الله فَقَدْ أَعْظم على الله الْفِرْيَة ، والله يقول : ﴿ ياأَيُّها الرَّسُول بلِّغْ ما أُنْزِل إليْك من رَبِّك وإنْ لم تفْعل فما بَلَّغْتَ رسالته ﴾

قالت : ومن زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبر بما يكون فى غَدٍ فقد أعظم على الله الْفِرْية ، والله يقول : ﴿ قُلْ لا يَعْلم من فى السماوات والأرض الْغيْبَ إلّا الله ﴾][١٠٤]

(١٠٤) متفق عليه .

١ - المفسِّرة

٢ - المحدّثة

٣ - الفقيهة

١ - المفسّرة

لقد تهيّأ للسيدة « عائشة » - رضى الله عنها - من الأسباب ما جعلها علمًا شامخًا من أعلام التفسير ، فمنذ طفولتها المبكّرة ، ونعومة أظافرها كانت تَسْمَعُ تلاوة أبيها « الصِّدِّيق » - رضى الله عنه - للقرآن الكريم ، وكانت تلاوته مؤثّرة ، يَبكى إذا قرأ ويُبْكى سامعه أيْضًا ، ولقد ضاق بِهِ القرشيون ذَرْعًا ، فلقى منهم أذى كبيرًا وكثيرًا فى هذا السبيل .

قالت رضى الله عنها - :

- [**لقد نزل بمكة على « محمد » - ﷺ - ، وإنى لجارية ألْعب - : ﴿ بَلِ الساعة مَوْعدهم والساعة أدْهى وَأمَرّ ﴾ ؛ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عِنْده**][١٠٥]

ثم انتقلت إلى بَيْت النبوَّة ،

وفيه شهدت كثيرًا من أسباب نزول الوحى ، ولقد سُميت حُجْرتها : (مَهْبط الوَحْى) .

لذلك وصفت أحْواله « ﷺ » حين نزول الوحْى عليه :

- [**ولقد رأيْته يَنْزل عليه الوحى فى اليَوْم الشديد البَرْد فيفْصم عنه ، وإن جبينه لَيَتفصَّدُ عَرَقًا**][١٠٦]

(١٠٥) البخارى .

(١٠٦) البخارى .

وكثيرًا ما كانت تَسْأل رسُول الله « ﷺ » عن معانى الآيات والمراد منها ، فكان « عليه الصلاة والسلام » يُبيِّن لها ذلك ؛ وبهذا تَلقَّت التَّفْسير من فمِ النبىِّ « ﷺ » .

قالت – رضى الله عنها – :

– [سألْتُ رسُول الله « ﷺ » عن هذه الآية :

﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبُهُم وَجِلة ﴾[107] أَهُم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟

قال : لا يا« بِنْت الصّدّيق » ولكنهم الذين يصومون ويُصلّون ويتصدّقون ، وهم يخافون أن لا يُقْبل منهم ﴿ أولئك يسارعُون فى الخيْراتِ وهم لها سابقون ﴾][108]

وقالت أَيْضًا :

–[سألتُ رسُول الله « ﷺ » عن قوْله – عَزّ وَجَلَّ – :

﴿ يَوْم تُبَدَّل الأرض غير الْأَرْض والسماوات ﴾ فأين يكون الناس يومئذٍ يارسُول الله ؟ فقال : على الصراط][109]

أَضِف إلى ما تقدم قوتها فى اللغة ، وفصاحتها وبيانها وبلاغتها ، كمادّةٍ أساسيّةٍ للتفسير .

وكانت تحرص على أن يكون التفسير منسجمًا مع أصول الإسلام فى كُليّاتِهِ وعقائده .

قال « عروة بن الزبير » يَسْأل « عائشة » عن قول الله تعالى :

[﴿ حتي إذا آستَيْأس الرُّسُل وظَنّوا أَنّهم قد كُذِبوا جاءَهم نَصْرُنا ... ﴾ قُلْتُ : أَكُذِبوا أَمْ كُذِّبوا ؟ قالت « عائشة » : كُذِّبُوا ... ، قُلْتُ : فقد آسْتيْقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو بالظّن ، قالت : أَجَلْ ، لَعَمْرى لقد آسْتيْقنوا بذلك ، فَقُلْتُ لها : وظنّوا أَنّهم قد كُذِبوا ؟ قالت : معاذَ الله لم

---

(١٠٧) سورة (المؤمنون) الآية (٦٠)

(١٠٨) ابن ماجه والترمذى (المؤمنون : ٦١)

(١٠٩) مسلم .

تكُن الرُّسُل تَظن ذلك بربّها ، قلتُ : فما هذه الآية ؟ قالت : هُم أتباع الرسل الذين آمنوا بربِّهم وصَدّقوهم ، فطال عليهم البلاء وٱستَأْخر عنهم النّصْر ، حتى إذا ٱستَيْأس الرُّسل مِمَّنْ كذبوهم من قَوْمهم ، وظَنّتْ الرسل أَنّ أتباعهم قد كذّبوهم جاءَهم نَصْر الله عِنْد ذلك](١١٠)

كما كانت تحرص – رضى الله عنها – على إظهار اتفاق آيات القرآن فيما بَيْنها فى تساوُقٍ وٱنسجام ، إذ تردُّ الآيات إلى آياتٍ أُخرى ، وتُفَسّر القرآن بالقرآن .

سألها « عروة » – رضى الله عنه – عن قوْل الله تعالى :

﴿ وإن خِفْتُم أَلّا تُقْسطوا فى اليتامى فٱنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُباع ﴾

فقالت :

– ياٱبْن أُختى ، هى اليتيمة تكون فى حجْر وليّها تشاركه فى ماله ، فَيُعْجبه مالها وجمالها ، فيريد وليّها أن يتزوَّجها بغير أن يُقْسط فى صداقها فيعْطيها مثل ما يعطيها غيره ، فَنُهُوا أن ينكحوهُن إلا أن يُقْسطوا لهُنَّ ويَبْلُغوا بهنّ أعلى سُنَّتِهِنّ (عاداتِهِن فى المهور) ، وأُمروا أن ينكحوا ماطاب لهم من النساء سواهُنّ ؛

ثم إن الناس استفْتوا رسُول الله « ﷺ » بعد هذه الآيات فيهنَّ ، وأنزل الله عز وَجَلّ :

﴿ ويَسْتَفْتُونَكَ فى النساء قُل الله يُفْتيكُم فيهن وما يُتْلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تُؤْتُونهنَّ ما كتب لهُنَّ وتَرْغَبُون أن تنكحوهُنّ ... ﴾

قالت : والذى ذكره الله تعالى أنه يُتلى عليكم فى الكتاب ، الآية الأولى التى قال الله فيها : **﴿ وإنْ خِفْتُم أن لا تُقْسطوا فى اليتامى فٱنْكحُوا ما طاب لكم من النساء ﴾ ، قالت « عائشة » : وقول الله فى الآية الأخرى : ﴿ وترغبون أن تنكحوهُنَّ ﴾** رغْبة أحدكم عن اليتيمة التى تكون فى حجْرِهِ حين تكون قليلة المال والجمال ، فنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا فى مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقِسْط من أَجْل رَغْبَتِهم عَنْهُنَّ](١١١)

---

(١١٠) البخارى .

(١١١) متفق عليه .

٢ – المحدّثة

هذه الصِّفَةُ العلميَّةُ هى أَبْرَزُ صفات السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها– ، وهى تُعَدّ من كبار حُفاظِ السُّنَّةِ من الصحابة ، وَلَقد اَعْتبرها المحقّقون فى المرتبة الخامسة فى حِفْظ الحديث وروايتِهِ بَعْد « أبى هُرَيْرة » و« ابن عُمَر » و« أَنَس بن مالك » و« اَبْن عبّاسٍ » – رضى الله عَنْهُم – .

لكن السيِّدة « عائشة » تمتاز عَنْهُم بأنّ مُعْظم الأحاديث التى روتْها ، قدْ تلقّتْها مباشرةً من النبىِّ « ﷺ » ، أو غَيْرها فَقَد روى بَعْضهم عن بَعْض ، وقلَّ أنْ رَوَت السيِّدة عن غير رسُول الله « ﷺ » ، فهى تعد بحَقّ أكثر الصحابة تَلقِّيًا عن النبىّ « ﷺ » ... ، وبهذا انْفَرَدَتْ بروايةِ أحاديثَ لم يَرْوها غيرها .

هذه الميزة تُبَيِّن لنا فَضْلها فى نَقْل السنّة النبويّة ونَشْرها بَيْن الناس ، سابقًا ولاحقًا ، ولوْلاها – رضى الله عنها – لضاع قِسْمٌ كبير من سُنَّةِ النبى « ﷺ » ، خصوصًا سُنّته الفعليَّة فى بيْتِهِ « ﷺ » .

ولقد كانَتْ حُجْرتها التى تَضُمُّ قَبْرَهُ الشريف – عليه الصلاة والسلام – مَدْرسة الحديث الأولى ، يقصدها طلاب العِلْم من كُلّ مكان ؛ ولا تضِنّ على أَحَدٍ بالرواية والضَّبْط والتوجيه .

وكانت – رضى الله عنها – ترى وجوب المحافظة على ألفاظ الحديث ، ولا تُجيز روايته بالمعنى ، سواء منها أو من غَيْرها ، وتتحرّى الدقّة فى ذلك .

قالت لِـ « عُرْوة » :

– [**ياَابْن أُخْتى ، بلغنى أَنّ « عبد الله بن عمرو » مارٌّ بنا إلى الحجّ ، فاَلْقَهُ فسائِلْه ، فإنّه قد حَمَلَ عن النبىِّ « ﷺ » عِلْما كثيرًا .**]

قال « عُرْوة » :

– (فلَقيتُهُ فساءلْتُهُ عن أَشياء يَذْكُرُها عن رسُول الله « ﷺ » ، فكان فيما ذكر :

[أن النبيَّ « ﷺ » قال : إنّ الله لا يَنْتَزِعُ الْعِلْم من الناس آنْتِزاعًا ، ولكن يَقْبض العلماء فيرفع الْعِلْم معهم ، ويُبْقى فى الناس رؤوسًا جُهّالًا يُفْتونهم بغَيْر عِلْم ، فَيَضِلُّونَ ويُضِلُّون])

قال « عُرْوة » :

(فلمّا حَدَّثْتُ « عائشة » بذلك ، أَعْظَمَتْ ذلك ، وأَنْكَرَتْهُ ، قالَتْ : أَحَدَّثَكَ أَنّه سَمعَ النبيَّ « ﷺ » يَقُولُ هذا ؟؟)

قال « عُرْوة » :

(حتى إذا كان قابلٌ ، قالتْ له : إن « ابْن عَمْرو » قَدْ قدِم فَٱلْقَهُ ثم فاتحه حتى تسْأله عن الحديث الذى ذكره لك فى الْعِلْم ، قال : فلقيته فساءلْتُه فذكرهُ لى نَحْو ما حدَّثنى به فى مرَّتِهِ الأولى .

قال « عُرْوة » : فلمّا أَخبَرْتُها بذلك قالت : ما أَحْسَبُه إلّا صَدَق ، أراهُ لم يَزِدْ فيه شيْئا ، ولم ينْقص][112]

وعَرَف حُفّاظ السنّة من الصحابة حِرْص السيِّدة على ضَبْط أَلْفاظ الحديث ، لذلك كان بَعْضهم يأْتى إليها ويُسْمِعُها بَعْض الأحاديث ليؤكّد لها قوّة ضبْطِهِ وحِفْظِهِ .

[ولقد كان « أبو هُرَيْرة » – رضى الله عنه – ، وهُوَ مَنْ هُوَ أكثر حِفْظًا للسُّنّة ، يأتى إلى مكانٍ قريبٍ من حُجْرتها فَيُحَدِّث ويقول : اسْمعِى يارَبَّةَ الحجْرة ، اسْمعى ياربَّة الحجْرة][113]

وكان الْحُفّاظ الرُّواة إذا آخْتلَفُوا فى شىْءٍ آحْتَكَمُوا إليْها ، وأخذوا رَأْيها ،

---

(١١٢) مسلم .
(١١٣) مسلم .

[قيل لِـ « ابْن عُمَر : إن « أبا هُرِيْرَةَ » يقول :
سَمِعْتُ رسُول الله « ﷺ » يقول : (من تَبِعَ الجنازة فَلَهُ قيراطٌ من الأجْر)
فقال « ابن عُمَر » : أَكْثَرَ عَلَيْنا « أبو هُرَيْرة » .
فَبَعَثَ إلى « عائشة » فَسَأَلها فَصَدَّقَتْ « أبا هريرة » ؛ فقال « آبْن عمر » : لقد فَرَّطْنا فى قراريط كثيرة](١١٤)

والشواهد على ذلك كثيرة وعديدة .

(١١٤) الإجابة .

٣ - الفقيهة . المجتهدة

تُعدَّ أم المؤمنين ، السيدة « عائشة » - رضى الله عنها - من كبار علماء الصحابة المتفقّهين المفْتين ، ولقد ذكرنا آنفًا أن كبار الصحابة وشيوخهم كانوا يسألونها فَتُجيبهم ويستفتونها فَتُفْتيهم .

ولقد ذكر « القاسم بن محمد بن أبى بكر » - ابن أخيها وأحد تلامذتها النُّجباء أنها استقلَّتْ بالفتوى زمن « أبى بكر » و« عمر » و« عثمان » - رضى الله عنهم - إلى أن توفيت - رحمها الله - .(١١٥)

لم تكتف - رضى الله عنها - بما عَرَفَتْ عن النبى « ﷺ » وأَحْواله ، بل اجتهدت فى آسْتنباط الأحكام للوقائع المستجدّة ، التى لم تجد لها حُكْما فى كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيّه - عليه السلام -

قال « أبو سلمة بن عبد الرحمن » :

- [ما رأيت أحدًا أَعْلم بسنن رسُول الله « ﷺ » ، ولا أَفْقَهَ فى رَأْى إن آحتيج إليه ، ولا أعلم بآية فيمَ نزلت ، ولا فريضة ، من « عائشة »](١١٦).

ولم تكُن - رضى الله عنها - رغم فقهها واجتهادها ، لتَسْبق الأحداث ، أَوْ تَفْتَرِضها ، بل لا تُعْطى رَأْيا أَوْ حُكْما إلا فيما هُوَ واقع .

[دَخَلَ عليها « سعد بن هشام » فقال :

إنى أريد أن أسألك عن التبتُّل ، فما ترين ؟

قالت : فلا تَفْعل !! أما سَمِعْتِ الله عَزّ وَجَلّ يقول :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رسُلًا من قَبْلك وجَعَلْنا لهم أزواجًا وذُرِّيّة ﴾(١١٧) فلا تتبتَّل] .

---

(١١٥) الطبقات (٣٧٥/٢)

(١١٦) الطبقات (٣٧٥/٢)

(١١٧) سورة (الرعد) الآية (٣٨)

وقال « ابن أبى مليكة » :

[**كانت « عائشة » إذا سُئِلَتْ عن المُتْعة قالت :**

بَيْنى وبَيْنَهُم كتاب الله ، قال الله :

﴿ والذين هُم لِفُرُوجِهِم حافظون ★ إلّا على أزْواجهم أوْ ما مَلَكَتْ[118] **أيْمانُهُم فإنّهُم غَيْر ملومين ★ فَمَن ٱبْتَغى وراء ذلك فأولئك هُم العادون ﴾]**[119]

وسألتْها امرأة :

– [**يا أمّ المؤمنين ، كانت لى جارية فَبِعْتُها من « زيْد بن أرْقم » بثمانمائةٍ إلى العطاء ، ثم ٱبْتعتُها منه بستمائة ، فَنَقَدْتُه الستمائة وكتبْت عليه ثمانمائة ، فقالت « عائشة » :**

بئس ما اشْترَيْت ، وبئس ما اشترى « زيْد بن أرقم » إنّه قد أبْطل جهاده مع رسُول الله « ﷺ » إلّا أن يتوب ، فقالت المرأة لِعائشة :

– **أرأيْتِ أن أخذْتُ رأسمالى ورددْتُ عليه الْفَضْل ؟؟**

فقالت : ﴿ فَمَنْ جاءَه مَوْعظة مِنْ ربّه فٱنتهى فَلَهُ ما سَلَف ﴾][120]

---

(١١٨) سورة (المؤمنون) الآيات (٥ – ٧) رواه الحاكم والبيهقى .

(١١٩) النسائى .

(١٢٠) سورة (البقرة) الآية (٢٧٥) الإجابة .

من صُور فقهها

ــ رضى الله عنها ــ

١ – ترى طهارة سُؤْر الهرة .

٢ – تستحب الوضوء من الكلام الخبيث .

٣ – لا ترى انتقاض الوضوء بلمس المرأة أو تَقْبيلها .

٤ – ترى وجوب الغُسل على الرجل والمرأة بالْتقاء الختانين ولَوْ لم يحدث إنزال .

٥ – المرأة الحامل لا تحيض ، وإذا رأت الدم تَغْتسل وتصلّى .

٦ – إذا استيقظ النائم فوجد بللًا ولم يذكر احتلامًا فعليه الْغُسْل .

٧ – تنهى النساء عن دخول الحمامات العامة إلّا من سقم .

٨ – تعدّ الصُّفْرة من الحيض .

٩ – المستحاضة تجلس أيام أَقْرائها ، ثم تغْتسل غُسْلًا واحدا ، وتتوضأ لكل صلاة .

١٠ – لا يضر أثر دم الحيض على الثوب بعد فَرْكِهِ وغَسْله .

١١ – للزوج أن يَسْتَمْتع بزوجتِهِ الحائض إذا كانَتْ مُؤْتزِرة .

١٢ – يجوز للمضطجع قراءة القرآن .

١٣ – الثوب الذى يعرق فيه الجنب طاهر .

١٤ – تكره النوم قبْل صلاة العشاء والسَّمَر بَعْدها .

١٥ – يفتتح المصلّى الصلاة بـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

١٦ – تنهى عن وضع المصلّى يده على خاصرته .

١٧ – يجوز للعبْد أن يُصلّى إمامًا ، وكانَتْ تأْتمُّ بِعَبْدها : « ذكْوان » .

١٨ – تقرأ فى المصحف وهى تُصَلّى .

١٩ – تدعو فى صلاة التطوُّع أثناء قراءة القرآن .

٢٠ – لا ترى بأسًا فى إتمام صلاة السفر ، وكانت تُتِمُّ فى السَّفر .
٢١ – كما كانَتْ تَصُوم فى السَّفر .
٢٢ – تستحب تخفيف ركعتىْ سُنّة الْفَجْر .
٢٣ – تصلّى الضحى وتقول : إن رسول الله « ﷺ » كان يترك العمل خشية أن يَسْتَنَّ به الناس فيفرض عليهم . وكان يُحِبُّ ما خَفّ على الناس .
٢٤ – تَقْتدى بإمام المسجد وهى فى حُجْرتها . وكانت حجرتها ملاصقة للمسجد .
٢٥ – تؤذن المرأة وتُقيم لِنَفْسها إذا أرادت أن تصلى .
٢٦ – لا تصح صلاة المرأة البالغة بدون خِمار ، وتقول فيه : إنما الخمار ما وارى الشعر والبشر .
٢٧ – لا ترى وُجُوب الغُسْل يوم الجمعة .
٢٨ – لا ترى وجوب سجْدة التلاوة وتقول : حقٌّ لله تؤدونه أو تطوّع تَطوَّعُونه ، فما من مُسْلم يَسْجد لله سَجْدةً إلّا رَفعه الله بها درجةً أو حَطّ عنه بها خطيئة ، أو جمعهما لهُ كِلْتَيْهما .
٢٩ – تكره نَقْل الميت ليُدفن فى غَيْر مكان وفاته .
٣٠ – ترى جواز الصلاة على الجنازة فى المسجد .
٣١ – تزكّى أموال اليتامى وتُتاجر فيها .
٣٢ – لا ترى وُجُوب الزكاة فى حليِّ المرأة .
٣٣ – وتقول فى الدَّين : ليْس فيه زكاة .
٣٤ – لا يفْطر الصائم إذا قَبَّل زَوْجته .
٣٥ – يجوز للصائم الاستمتاع بزوجته إلّا الجماع .
٣٦ – تقول فى صيام يوم العاشر من المحرَّم : من شاء صامه ، من شاء أفطره .
٣٧ – المعتكف لا يعودُ المريض .
٣٨ – ترى أَنّ الصَّدَقة على الفقراء أفضل من الْهَدْى إلى المسجد الحرام .
٣٩ – لا تكشف عن وجهها أثناء الإحرام ، وتطوفُ وهى مُنْتَقِبة .
٤٠ – تُقْرِن فى الطواف ، وتصلى بعد ذلك لكل سَبْعة أشواط ركعتين .

٤١ – لا تخالط الرجال فى الطواف .

٤٢ – الرجال هم الذين يُباشرون عقْد الزواج .

٤٣ – تُفَسّر الْأَقْراء بالأطهار .

٤٤ – لا ترى وقوع الطلاق فى انقضاء أربعة أَشْهُر على المرأة التى آلى منها زَوْجُها .

٤٥ – تخيير الزوْج زوجته لا يُعَدُّ طلاقًا .

٤٦ – للمطلّقة النفقة والسكنى ، وتُنكر على « فاطمة بنت قيْس » حديثها أنّه لا نفقة لها ولا سُكْنى .

٤٧ – تنهى المطلّقة أن تخرج من بَيْتها حتى تنقضى عدّتها .

٤٨ – تُفْتى المتوفى عنها زوْجها بالخروج فى عدّتها .

٤٩ – تكره البيْع مع الشَّرْط .

٥٠ – تَمْنع البائع أن يَشْترى السِّلْعة المبيعة من المشترى قَبْل قَبْض الثمن بأقلّ من الثمن .

علوم أُخرى

شَهِدَ العالِمُ الجليل « ابنُ عَبْد الْبَرِّ » لـ « عائشة » — رضى الله عنها — أَنّها كانت — بالاضافة إلى ما قدَّمناهُ من صُوَرِ عِلْمِها الْغزير فى التفسير والحديث والفقه — عالمة أَيْضًا ، وعلى مُستوىً عالٍ ، فى الطِّبِّ والشِّعْر والْأَنْساب .

يَسْأَلُها تلميذها « عُرْوَة بن الزُّبَيْر » مُتَعجِّبًا :

— [إنّى لَأَتفكّر فى أَمْرِك فَأَعْجَب !! أَجِدُك من أَفْقَهِ الناس ، فَقُلْتُ : ما يَمْنعها ؟ زَوَجَةُ رسُول الله « ﷺ » وابنةُ « أبى بكْر » وأَجِدُك عالمةً بأَيَّام العرب وأنسابها وأشعارها ، فَقُلْتُ : وما يَمْنعها وأبُوها علامةُ قُرَيْش ؟

ولكن ... إنما أَعْجَبُ أَنْ وَجَدْتُك عالِمَةً بالطِّب ، فمن أَيْن ؟؟ فَتُجيبه — رضى الله عنها — جواب المعلّمة ، الواثقة من نفسها وعِلْمها ، بعد أن تأخذ بيده وتقول :

— يا « عُرَيَّة »[١٢١] ، إن رسول الله « ﷺ » كَثُر من أَسْقامِهِ ، فكان أطباء العرب والعجم يَنْعتون له ، فتعلَّمْتُ ذلك .][١٢٢]

ويتأسَّف « عُروة » بعد وفاتها — رحمها الله — على أَنّ هذا العلْم الغزير فى الطِّب قد ذَهَب ، فيقول :

— [فلَقَدْ ذَهَبَ عامَّةُ عِلْمها ، لا يُسْأل عَنْه][١٢٣]

ذلك أنّ الناس طافوا يَسْأَلونها فى عُلُوم الدين ، تَصَوُّرًا مِنْهُم أن حِذْقها وإتْقانها فيه فقط .

---

(١٢١) تصغير « عروة » للتحبُّب .

(١٢٢) الإجابة .

(١٢٣) أعلام النبلاء .

الفصل السابع

أَشْهَرُ تَلامِذَتِها

- عُرْوَةُ بن الزبير
- القاسم بن محمد
- عُمْرة بنت عبد الرحمن
- مُعاذة العدويّة

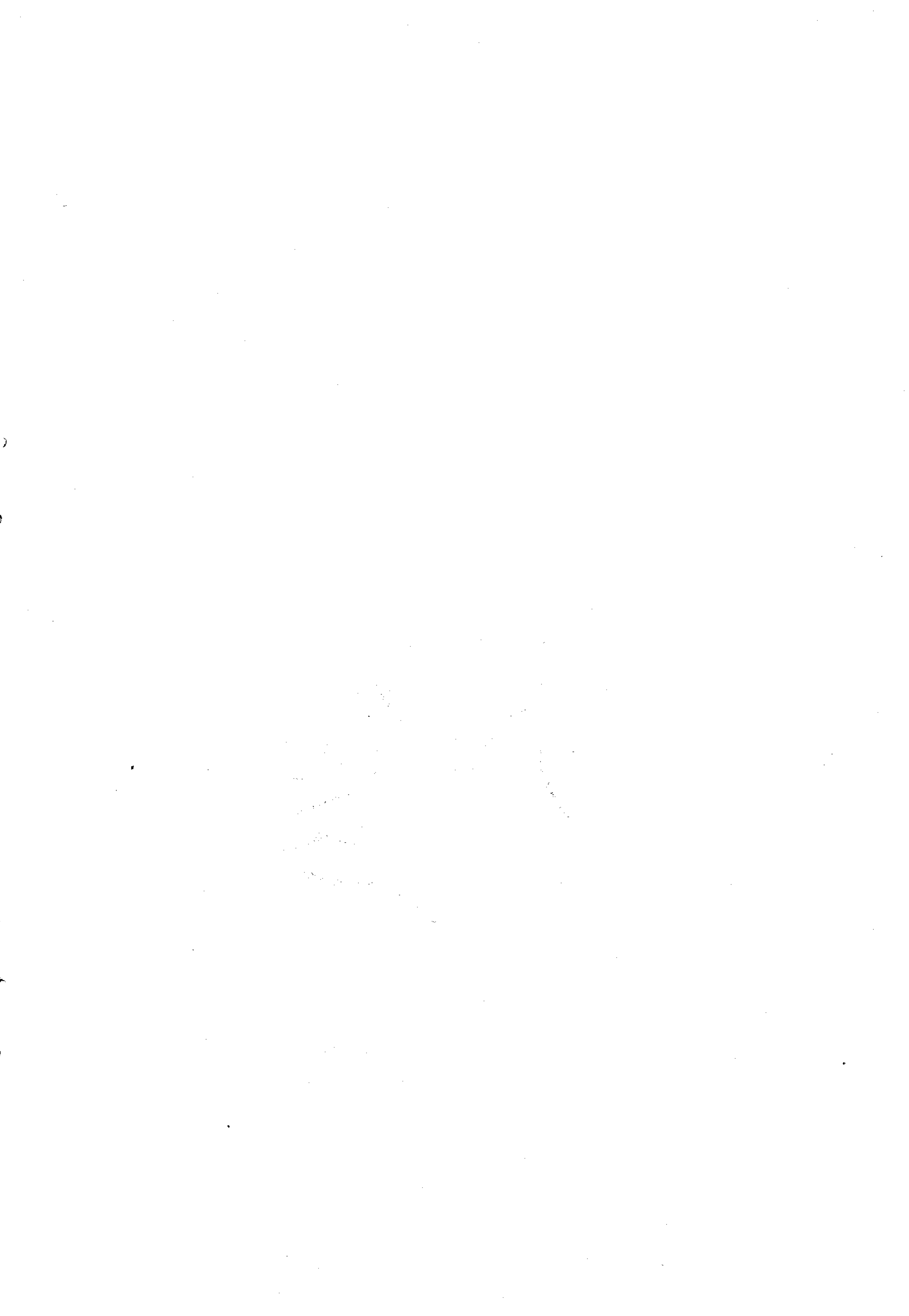

أشهر تلامذتها

ضَمَّتْ مَدْرسة السيدة « عائشة » – رضى الله عنها – عَددًا كبيرًا من التلامذة ، وتخرّج على يَدَيْها سادَة العلماء من التّابعين .

وكان من أشْهَر هؤلاء :

« عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر » – رضى الله عنه –

الإمام ، عالم المدينة ، « أبو عبد الله » – القرشيّ الأسدى المدنىّ ؛ وأمُّه « أسماءُ بِنْتُ » أبى بكْر الصديق » – ذات النّطاقيْن –

وُلِدَ فى آخر خلافة « عُمَر » سنة ثلاث وعشرين للهجرة ؛

تفقّه بالسيِّدة « عائشة » ، وكان يَدْخُلُ عليْها كثيرًا .

قال « قبيصة بن ذُؤَيْب » :

– كان « عُرْوَةُ » يَغْلبنا بدخولِهِ على « عائشة » ، وكانت « عائشة » أَعْلَمَ الناس ، وكان « عُرْوة » أعلم الناس بحديث « عائشة » .

كان يَحُثُّ الناس ، ويتألَّفُهُم ، على طلب الْعِلْم .

ويقول لأبنائه :

– يابَنِيَّ تعلَّمُوا الْعِلْم ، فإنكم إن تكُونوا صِغَارَ قوْمٍ عسى أن تكُونُوا كبارهم ، واسوْأتاه !! ماذا أَقْبحُ من شيْخ جاهل !!؟؟

وكان يرى أن على طالب الْعِلْم أن يطلب العلْم وأن يزلّ نفسه فى طلبِهِ حتى يُورِثُهُ ذلك عِزًّا طويلًا ، فيقول :

- **رُبّ كَلِمَةِ ذُلّ آحْتَمَلْتُها أَوْرَثتنى عزًّا طويلًا**[١٢٤]

حَمَلَ « عروة » عِلْم « عائشة » حتى كان يقول :

- **لقد رَأَيْتنى قَبْل موت « عائشة » بأرْبع حجج ، أو خمْس حجج ، وأنا أقول :**

(لوْ ماتت الْيَوْم ما نِدِمْتُ على حديثٍ عنْدَها إلّا وقدْ وَعَيْتُه)

ولم يقف تأثَّر «عروة» بها — رضى الله عنها — عِنْد حُدودِ الْعِلْم ، فقد تعدى ذلك إلى التأثُّر بأخلاقها وشمائلها عامة .

تأثّر بجودها وسخائها ، وتأثّر بعبادتها وتقْواها ...

يُروى فى هذا أنّه كان فى أيّام الرُّطَب يَثْلم حائِطه (بُسْتانه) فيْجعل فى جداره فجْوةً ، ثم يأْذَن للناس فيه فَيَدْخلون ويأْكُلون ويحملون ،

وكان إذا دَخَلَ بُسْتانَهُ ردَّد قَوْل الله تعالى :

﴿ ولوْلا إذْ دَخلْتَ جَنَّتكَ قُلْتَ ما شاء الله لا قُوَّة إلا بالله ﴾

وكان كثير العبادة ، كثير التلاوة للقرآن الكريم ، يقرأ فى كل يوْم رُبْع القرآن فى المصحف ، ويقوم بِهِ ليْله ..!

وما تَرَكَهُ إلّا ليْلة قُطِعتْ رِجْله ، ثم عاوَد حِزْبَه من الليلة المقْبلة .

حَدَث ذلك لمّا قدم « عُروة » على « الوليد بن عَبْد الملك » ومعه ابنه « محمد ابن عروة » ، فَدَخَلَ « محمد » دار الدَّواب فَضَرَبَتْهُ دابَّة فَخرَّ وحُمل ميْتًا ...

ووقَعَتْ فى رِجْل « عُرْوَة » الأَكَلَة ، ولم يَدَع تلْك الليلة وِرْدَهُ ، فقال له « الوليد » : اقْطَعْها ... وإلّا أَفْسَدَتْ عَلَيْك جَسَدك ، فَقُطِعَتْ بالمنشار ، وهُوَ شيْخ كبير ، لم يُمْسِكْه أَحَد ...

وَعَلّق على ما حَدَث بقَوْله : **﴿ لَقَدْ لقينا من سَفَرِنا هذا نَصبًا ﴾**

---

(١٢٤) صفة الصَّفوة .

وقال أيضًا :

– **اللهُمَّ إنّه كان لى أطْراف أرْبَعَة ، فَأَخذْت واحدًا وأبقيْت ثلاثةً ، فَلَكَ الحمْد ، وكان لى بنون أرْبعة ، فَأَخذْت واحدًا وأَبقيْت لى ثلاثة ، فَلَكَ الحمْد ، وأَيْم الله لئن أَخذْت لقد أبْقَيْتَ ، ولئن أبْكيْت طالما عافَيْت .[١٢٥]**

تُوفى – رحمه الله ورضى عنه – سنة أرْبع وتسعين ، ودُفِنَ يَوْم الجُمُعة .

من أقواله :

(أ) إذا رأيْت الرجل يَعْمل بالْحَسَنَةِ فاعْلَم أَنَّ لها عِنْده أخوات ، وإذا رَأَيْتَهُ يعمل السَّيِّئة فاعْلَم أنّ لها عنده أَخوات ، فإن الحسنة تَدُلّ على أُخْتها ، وإن السيِّئة تدل على أُخْتها .

(ب) إذا جَعَل أحدكم لِلّه عز وجل شيْئًا ، فلا يجعل له ما يستحيى أن يجعله لكريم ، فإن الله تعالى أكرم الكرماء وأحقّ من اخْتير له .

(ج) لتكُن كلمتُك طيّبة ، وليكُن وَجْهُك بَسْطا ، تكُن أَحبّ إلى الناس مِمَّنْ يُعْطيهم العطاء .

« القاسم بن محمد بن أبى بكْر »

هو الإمام الْقُدْوة : « أبو عبد الرحمن » – التَّيْمىّ المدنىّ الفقيه ، قُتل أَبُوهُ وهوَ صغير ، فتربى يتيمًا فى حِجْر عَمَّتِهِ « عائشة » – رضى الله عنها – فَتَفقَّه بها .

قال عنه « أبو نعيم » فى « الْحِلْية » :

(الفقيه الْوَرِع الشفيق ، الضَّرِعُ نَجْل الصِّدِّيق ، ذو الْحَسَبِ الْعتيق ، كان لِغَوامض الأحكام فائقا ، وإلى محاسن الأخلاق سابقا) .

---

(١٢٥) حِلْية الأَوْلياء .

وقال عَنْه « ابن سَعْد » فى طبقاتِهِ :

(كان رفيعًا عاليًا فقيهًا ، كثيرَ الحديث وَرِعًا) .

اهتمَّت به السيِّدة « عائشة » بعد مقْتل أبيه كثيرًا . وكان يذكُر ذلك فيقول :

– **(كانت « عائشة » تحْلق رؤوسنا عشيَّة « عَرَفة » ثم تحلِّقنا وتبْعثنا إلى المسْجد ، ثم تضحى عنْدنا من الْغَدِ) .**

وَرِث عن عَمَّته « عائشة » – ومُعلِّمته – رواية السُّنَّة ، حتى قيل :

– أَعْلَمُ الناس بحديث « عائشة » ثلاثة : [**القاسم ، وعروة ، وعُمْرة**][126]

وأضاف إلى رواية السُّنَّة الفقْه ، قال « أبو الزّناد » :

– **ما رأيْتُ فقيهًا أَعْلَمَ من « القاسم » ، وما رأيْتُ أحدًا أعلم بالسُّنَّةِ منه .**

وشهِدَ له بذلك أَيْضًا : الإمام « مالك » ، و« ابن عُيَيْنة » و« ابن سيرين »[127]

وكان عفيفًا كريمًا وَرِعًا ، أَرسَلَ إليه « عمر بن عُبَيْد الله » بأَلْف دينار ، فأبى أَنْ يَقْبلها .

وترك مائة أَلْفٍ أَتَتْه ، ما تخلَّجَ – أى تحرَّك – فى فَمِهِ منها شَيْء .

ومن وَرَعِهِ فى الْعِلْم أنه كان لا يجيب عن كُلّ ما يُسْأل عَنْه ، ويقول :

– **ما نَعْلم كُلَّ ما نُسأل عنه ، وَلَأَنْ يعيش الرجُل جاهلاً بعد أن يعرف حقّ الله تعالى عليه ، خَيْر لهُ من أَنْ يَقُول مَا لا يَعْلم .**

ومن الجدير بالذِّكْر أن الخليفة العادل الزاهد ، خامس الراشدين – رضي الله عنهم – كان مُتَأَثّرًا بـ « القاسم بن محمد » كثيرًا ، عِلْمًا وزُهْدًا وَورعًا ، وأُخُوَّةً فى الله[128]

---

(١٢٦) التهذيب .

(١٢٧) التذكرة والتهذيب .

(١٢٨) التهذيب والحلْية .

مات سنة ثمانٍ ومائة (١٠٨) هـ ؛ بـ « قُديد » بَيْن مكة والمدينة ، فقال لابْنِهِ :

- سُنَّ عليَّ التُّراب سَنًّا ، وسوِّ على قَبْرى ، وٱلْحَقْ بِأهْلك ، وإيّاك أن تقول : كان وكان .

من أَقْواله :

(أ) إنّ هذه الذُّنوب لاحِقَةٌ بأَهْلها .

(ب) كان اختلاف[١٢٩] أصحاب رسُول الله - « ﷺ » رَحْمةً لِلنّاس .

(ج) وإذا سُئِل عن حُكْم مَسْألةٍ قال : أَرى ، ولا أَقُول إنّه الحق .

(د) وقال لِقَوْم يَذْكرون الْقَدَر : كُفُّوا عمّا كَفَّ الله عنه .

« عُمْرَةُ بِنْت عبد الرحمن الأنصاريّة »

قيل هى : عُمْرةُ بنت عبد الرحمن بن سَعْد بن زُرارة الأنصاريَّة ، المدنيّة النجّارية .

وجَزَم آخرون بأن جَدَّها هُو « أَسْعَدُ بن زُرارة » - « أَبُو أُمَامَـةَ » - رضى الله عنه -

ضَمَّتها « عائشة » مع إخواتها وأخواتها إلى حجْرها بعد وفاة والدهم ، وبَعْد وفاة رسُول الله « ﷺ » .

فَنشَأَتْ - رحمها الله - فى بَيْتِ التَّقْوى والْعِلْم ؛ وكانَتْ ذكيَّة الفؤاد ، لمّاحةً ، وقّادَة الذِّهْن ... ، فَوَعَتْ عن « عائشة » كثيرًا من الْعِلْم ، فحفظَتْ عنها ، وحَدَّثَتْ بحديثها من بَعْدها .

تزوّجَتْ « عبد الرحمن بن حارثة بن النُّعْمان » فوَلَدَت له « محمد » ، وهُوَ « أبو الرِّجال »[١٣٠] - وهو لَقَبٌ كان له - .

---

(١٢٩) يقصد اختلافهم فى الفروع الفقهية .

(١٣٠) طبقات ابن سَعْد .

قال ابن المدينى :

- « **عُمْرةُ » أحد الثّقات العلماء بـ « عائشة » ، الْأَثْبات فيها .**

وقال « ابن حِبّان » :

- **كانتْ من أعلم الناس بحديث « عائشة »**

وكان « عمر بن عَبْد العزيز » يَسْأل « عُمْرة » - رحمها الله - وكَتَبَ إلى « أبى بكر بن محمد عمرو بن حَزْم » :

أن آنْظُر ما كان من حديث رسُول الله « ﷺ » ، أَوْ سُنّةٍ ماضية ، أَوْ حديث « عُمْرة بِنْت عبد الرحمن » فاكْتُبْهُ ، فإنى خفْتُ دُروس الْعِلْم ، وذهاب أَهْله .

تُوُفّيتْ رحمها الله سنة ثمانٍ وتِسْعين (٩٨) هـ ، وقيل سنة سِتٍّ ومائة (١٠٦) هـ ؛ وهى بنت سَبْع وسبعين (٧٧) سنة[١٣١]

وأَخْرج « ابن سَعْد » فى « الطبقات » أنها - رحمها الله - قالت لبنى أَخٍ لها :

- **أَعْطُونى قَبْرى فى حائط ، ولهُم حائط (بُستان) يلى « البقيع » ، فإنى سَمِعْتُ « عائشة » - رضى الله عنها - تقول :**

- **كَسْرُ عَظْم الميْت كَكَسْرِه حَيًّا .**

« مُعاذَةُ الْعَدَويَّة »

هى : « مُعاذَةُ بنْتُ عَبْد الله الْعَدَويَّة » - أُمّ الصَّهْباء - الْبَصْريّة ، امرأة « صِلَةَ بن أَشْيم » - وهُو من خيار التابعين ، كان ثِقةً له فَضْل ووَرع ، مات شهيدًا فى « كابُول » - فى بعض المعارك - ، فى أوّل إِمْرةِ « الحجّاج بنِ يوسُف » على العراق ...

دَخَل عليها نِسْوةٌ يُعَزِّينها بِهِ ، فقالَتْ لهُنَّ :

- **مرْحَبًا بِكُنَّ إن جئتُنَّ تُهنّئننى ، وإن كُنْتُنّ جئتُنّ لغيْر ذلك فَآرْجِعْن[١٣٢]**

---

(١٣١) الطبقات .

(١٣٢) الطبقات ، الحلْية .

ولقد وَرِثَتْ « مُعَاذَةُ » عن السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنهما – كثرة العبادة ، والتقْوى ، والزُّهْد ؛ وقد اشتهرت بذلك

من أقْوالها ، بعد استشهاد زَوْجها وولدها :

– [**والله ما محبّتى للْبقاء فى الدُّنيا لِلَذيذ عَيْش ، ولا لِرَوْح نسيمٍ ، ولكن – والله – أُحِبُّ البقاء لأتقرَّب إلى ربىّ عَزّ وَجَلَّ بالوسائل ، لعلَّه يَجْمع بيْنى وبَيْن « أبى الصَّهْباء » وولدِهِ فى الجنّة**][133]

وكانت – رحمها الله – تُحْيى الليل صلاةً ، فإذا ما غَلَبَها النَّوْم قامَتْ فجالَتْ فى الدّار وهى تقول :

– [**يانفْس ... النَّوْم أمامك ، لوْ قَدِمْتِ لطالَتْ رَقْدَتُكِ فى الْقَبْر ، على حَسْرةٍ أَوْ سُرور**] .

فَهِىَ كذلك ، حتى تُصْبِح .

ولمّا حَضَرَتْها الوفاةُ بَكَتْ ، ثم ضَحِكَتْ ، فقيل لها :

– مِمّ بكيْت ثم ضَحِكْتِ ؟

قالت :

– [**أما البُكاء الذى رأيْتُم فإنى ذكرْت مفارقة الصيام والصلاة والذّكْر ... فكان الْبُكاء .**

وأما الذى رأيْتُم من تَبَسُّمى وضَحِكِى ، فإنى نَظَرْتُ إلى « أبى الصَّهْباء » قد أَقْبَلَ فى صَحْنِ الدار ، وعليْه حُلَّتان خضْراوان فى نَفَرٍ ، والله ما رأيْتَ لهُم فى الدُّنْيا شبهًا ، فضحِكْتُ إِلَيْه ، ولا أرانى أُدْرِكُ بَعْد ذلِكَ فَرْضًا ...]

قال الرواى : فماتَتْ قَبْل أن يَدْخل وقْت صلاة[134]

(١٣٣) صِفَةُ الصَّفْوة .

(١٣٤) صِفَةُ الصَّفْوة .

من أَدَبِ السيِّدة « عائشة »
— رضى الله عنها —

قال « معاوية بن أبى سُفيان » :

– [**والله ما سَمِعْتُ قطّ أَبْلَغَ من « عائشة » ، ليْس رسُول الله « ﷺ »**[١٣٥] **»**]

وقال « الأحنف بن قَيْس » :

– [**سَمِعْتُ خطبة « أبى بكر الصدّيق » و« عمر بن الخطاب » و« عثمان بن عفّان » و« على بن أبى طالب » – رضى الله عنهم – والخلفاء هَلُمّ جرّا ، إلى يَوْمى هذا ، فما سَمِعْتُ الكلام من فمِ مخلوقٍ أَفْخم ولا أَحْسَنَ مِنْه فى فِي « عائشة » – رضى الله عنها –**]

وقال « موسى بن طلْحة » :

– [**ما رَأَيْتُ أَحدًا أَفْصَح من « عائشة »**]

وكان « الشّعبىُّ » يَذْكُرها ، فيتعجّب من فِقْهها وعِلْمها ، ثم يَقُول :

– **ما ظَنُّكم بِأَدَب النُّبوَّة !!!**

من روائع أَدَبِها :

قالَتْ :

– [**كُنْتُ قاعِدةً أغزل ، والنبىُّ « ﷺ » يَخْصِفُ نَعْله ، فجعل جبينه يَعْرق ، وجَعَلَ عَرَقُه يَتولّد نُورًا ، فَبُهِتُّ ، فقال :**

– **مالَكِ بُهِتِّ ؟!**

---

(١٣٥) أعلام النبلاء .

قلْتُ : جَعَلَ جبينُك يَعْرق ، وجَعَلَ عَرَقُك يَتولَّد نُورًا ، ولوْ رآك « أَبُو كبير الهُذَليّ » لَعَلِمَ أَنَّك بِشِعْرِه أَوْلى ، حَيْث يقول :

ومُبَرَّأ منْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضةٍ   وفسادِ مُرْضِعَةٍ وداءِ مُغْيل
وإذا نَظَرْتَ إلى أسِرَّة وَجْهِهِ   بَرِقَتْ بُروق العارِضِ الْمُتَهِّلل]

وقالت فى يَوْم وفاة رسُول الله « ﷺ »

– [تُوُفّى رسُولُ الله « ﷺ » ، فوالله لوْ نزل بالجبال الراسيات ما نَزل بى لهاضَها ، اشرأَبَّ النّفاق فى المدينة ، وارْتدَّت الْعَرب ، فوالله ما ٱخْتلَفُوا فى نُقْطةٍ إلّا طار أبى بِحَظِّها وغنائها فى الإسلام ... ، ومَنْ رأى « عُمَر بن الخطاب » عَرَف أنّه خُلِقَ غناءً للإسلام ، كان والله أَحْوَذيًّا نسيج وَحْده ، وقد أَعَدَّ لِلْأُمُور أَقْرانها] .

ووقفت على قَبْر أبيها « الصّدّيق » فقالت :

– [نضَّرَ الله وَجْهَكَ ، وشكر لك صالح سَعْيك ، فلقد كُنْتَ للدُّنيا مُذِلًّا بإعْراضِكَ عَنْها ، وللآخِرَة مُعِزًّا بإقبالِكَ عليْها ، ولئن كان أَجَلّ الحوادث – بَعْدَ رسُول الله « ﷺ » – رزؤك ، وأَعْظم المصاب بَعْدَهُ فقْدك ، إن كتاب الله لَيَعِدُ بالعزاء عَنْك حُسْنَ الْعِوَض منك ، فأنا أَنْتجزُ من الله مَوْعُودَهُ فيك بالصَّبْر عَلَيْك ، وأستعيضُهُ منك بالدُّعاء لك .

فإنّا لله وإنّا إليْه راجعُون ، وعليْك السلام ورَحْمة الله ، تَوْديع غيْر قالِيَةٍ لحياتك ، ولا زارِيةٍ على القضاء فيك]

مِنْ مَأْثور حِكَمِها :

(أ) لِلّه دَرّ التَّقْوى ، ما تركت لِذى غَيْظٍ شفاء .

(ب) النّكاح رِقّ ، فَلْيَنْظُر أَحَدُكم عِنْد مَنْ يُرِقُّ كريمته .

(ج) لاسَهَر إلّا لثلاثة : مُصَلٍّ ، أَو عَروسٍ ، أَوْ مسافر .

(د) وقيل لها : إنّ قوْمًا يَشْتُمُون أصحاب « محمد » – « ﷺ » – ، فقالت :

– قَطَعَ الله عنهم الْعَمَل ، فَأَحَبَّ أَنْ لا يَقْطع عَنْهُم الأَجْر .

(هـ) وقالت فى هذا أَيْضًا :

– أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِروا لأصحاب النبيِّ « ﷺ » فَسَبُّوهم .

كلمةٌ أخيــرة

هذه الصفحات ، على كثرتها ، نُبْذَةٌ مختارة ومنتقاةٌ من حياة السيِّدة « عائشة » – رضى الله عنها – وغَيْض من فيْض ، ولوْ أنّنا أردنا الاسْتقصاء لطال بنا المجال ، وضاقَتْ بنا الكُتُب الطّوال .

نَسْأل الله تعالى : أنْ يَنْفَعَ بها ، ويَجْعلها فى ميزان حسناتنا يَوْم القيامة .

والحمدُ لله أوّلًا وآخرًا ،،،

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة